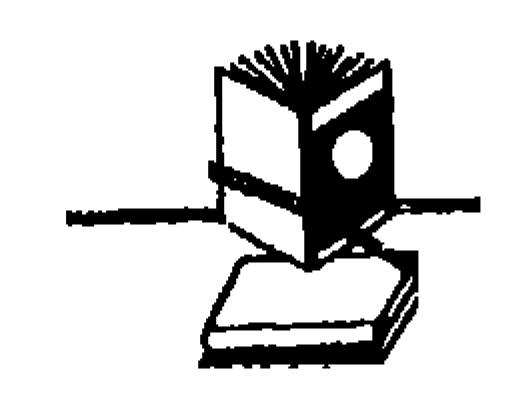

ليونيد سولوفيوف
فيكتور فيتكوفيتش
الأمير المسحور
الآثم المرح
كوميديا
في فصلين
ترجمة: توفيق المؤذن
مراجعة: نوفل نيوف
وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية

ليونيد سولوفيوف
وفيكتور فيتكوفيتش

الأمير المسحور
الآثم المرح

كوميديا في فصلين

ترجمة: توفيق المؤذِّن
مراجعة: نوفل نيُّوف



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ٢٠٠١

العنوان الأصلي للكتاب:

Виктор Веткович
Лионид Соловьёв
Заколдованный принц

الأمـــيـــر المســـحـــور؛ الآثم المرح: كـــومـــيـــديا في فـــصلين/ ليونيد سولوفيوف وفيكتور فيتكوفيتش؛ ترجمة توفيق المؤذن؛ مـــراجـــعـــة نوفل نيـــوف. - دمـــشق: وزارة الثـــقـــافـــة، ٢٠٠١. - ٢٣٢ص؛ ٢٠ سم. -(مسرحيات عالمية؛ ٦٠).

١- ٨٩١,٧٢ س و ل أ ٢- العنـــوان ٣- سـولوفـيـوف
٤- فيتكوفيتش ٥- المـؤذن ٦- السلسلة مكتبة الأسـد

الإيداع القانوني: ع- ١٥٦/ ٢/ ٢٠٠١

مسرحيات عالمية
« ٦٠ »

الشخصيات:

جحا نصر الدِّين
حماره
غولجان - زوجة جحا
لصّ بغداد
آغا بغداد
آغا بيك - مالك البحيرة
رحيم باي - صرّاف
أرزي بيبي - زوجته
محمَّد علي - فلاَّح
زُلفى - ابنته
سعيد - شابٌّ يحبُّ زُلفى
كميل بيك - رئيس حرس السُّوق
القاضي
يرمات - فلاَّح
الأرملة
فلاَّحون، رحَّالة، حرّاس، قضاة، كتبة وغيرهم.

المقدمة

كوخ طيني منفرد. سياج من الطين منخفض له باب خشبي عتيق. سماء ساطعة النجوم يزينها هلال فضي. أصحاب الكوخ نائمون، يترامى صوت شخيرهم رتيباً. جحا نصر الدين يخرج من الكوخ وقد أمضّه الأرق. أصوات طيران سرب من الإوز. جحا يقطف ورقة من شجرة اللوز المزهر.

جحا: الربيع!.. الربيع!..

صوت من البيت: جحا.. ماذا تفعل هناك؟

جحا: خرجت لقضاء حاجة عارضة... نامي ياحبيبتي... نامي... (يظهر رأس الحمار من الزريبة) سنرحل في القريب العاجل ياحماري العزيز! الدروب والوديان، ومسالك الجبال تدعونا من زمن بعيد. الأنهار بانتظارنا كي نطفئ الظمأ بمائها العذب. والطيور أعدت لنا أفضل ماعندها من الأغاني. وأنا أيضاً خبّأت مئة وخمسين ديناراً لا تعرف عنها غولجان أي شيء... (مفكّراً) ولكن كيف نتصرف مع غولجان؟ هل نرحل

سراً؟ ستجن قلقاً علينا! هل نخبرها بعزمنا على الرحيل؟ عندئذ سوف تُصرُّ على أن نفعل العكس! . . . (يربت على جبهته). إذا كنت لاأستطيع الرحيل عن عائلتي، فلماذا لاترحل عائلتي عني مدة من الزمن؟!

غولجان: (تظهر عند باب الكوخ). ماذا تفعل عندك؟! أي شيطان يدعوك للنهوض في الليل؟

جحا: فكري مشغول بذلك البخاري الذي سيسافر مع القافلة هذا الصباح إلى بخارى. لابد أن والدك الذي تركناه هناك طيلة هذه السنوات يذرف الدموع عليك وعلى أحفاده السبعة. لم يرهم المسكين في حياته. .

غولجان: (تتثاءب). قسمة ونصيب. . . لاتشغل بالك بهذا الموضوع وعد إلى النوم.

جحا: اللّهمَّ انتقم من ذلك الأمير المجرم الذي لاأستطيع الظهور في بخارى بسببه! بالمناسبة، ممنوع عليَّ أنا فقط (يعانق زوجته)، أما أنت والأطفال فبإمكانكم السفر إلى هناك. إيه . . . واحسرتاه! فليس لدينا نقود للسفر!

غوجان : ليس لدينا نقود؟! والكيس الذي في الصندوق وفيه ثمانمئة دينار؟

جحا : كيس ؟ أي كيس؟ آه! . . . هذه النقود ممنوع لمسها لأني خططت لصرفها!

غوجان : (وهي تحملق فيه) ماذا؟ خططت لصرفها؟!

جحا : نعم لقد قررت أن أبني هنا . . . بل هنا . . . بركة ليسبح فيها الأولاد في الأيام الحارة وسأبلطها بالأحجار.

غوجان : (غاضبة) بالأحجار؟! ولماذا لاتبلّطها بالمرمر؟

جحا : أنت على حق . . . المرمر أفضل، ثم ينبغي أن نبني هنا مصطبة ونفرش أرضها بالسجّاد ونزيّن جدرانها بالمرايا . . .

غوجان : (تخطف خيزرانة) بالسجاد والمرايا؟!

جحا : (يهرب منها). أما هذا الباب المهترئ فأريد تبديله بباب جديد من خشب الجوز المزين بالنقوش. ثم سأستدعي من يطلي المنزل بلون ذهبي، ويرسم الأزهار الزرقاء في الداخل والخارج.

غوجان : لماذا؟

جحا : ذلك أجمل.

(غوجان تضرب الهواء بالخيزرانة. جحا يفلت منها بمهارة).

غوجان : ويْلي منك يامنحوس، يامبدد الفلوس! لانقود لديك لأزور والدي العجوز، المسكين، الوحيد المريض! ولكنّ لديك نقوداً لإنفاقها على تفاهاتك! كفى ... لم أعد أتحمَّل أكثر من ذلك! ... مع طلوع الشمس ... سأبدأ بجمع حوائج السفر في الحال ... اذهب وأخبر البخاري أننا سننضم إلى قافلته! ... سأجمع الحوائج حالاً! . . (تدخل إلى الكوخ).

جحا : (لحماره) إنني خجلٌ من نفسي أمام زوجتي الوديعة بسبب هذه الخديعة. لكن قل لي بشرفك ... هل كان بإمكاني التصرف معها بشكل آخر؟ أنت أعلم بحالي ... أمامنا طريق طويلة وأعمال كثيرة

(الحمار يرد بنهيقٍ فرح، جحا يغني بصوت منخفض).

وحماري ينهق كُرْمَى لي

والنرجس يُزهر من أجلي

والدرب يناديني

أنا ذا الإنسان!

الفصل الأول

اللوحة الأولى

في الطريق . جحا مسافر على ظهر حماره ويغنِّي بأعلى صوته .

جحا : العشب يرفرف من أجلي

والجدول يُنشد حبّاً بي

والشمس تُهَلِّل كُرْمَى لي

أنا ذا الإنسان!

وندى الفجر يرحِّبُ بي

وتطنُّ النحلة كرمى لي

ولهيبُ حياةٍ في روحي

أنا ذا الإنسان!

صراخ: حرامي . . . حرامي! . . . أمسكوا الحرامي!

(يندفع شخص أمرد ويختبئ خلف حمار جحا. يجفل الحمار فيرفس ويسقط جحا على الارض).

المسافرون : (مندفعين) توقفوا. . . توقفوا أيها اللصوص الملاعين! (يقبضون على جحا وعلى الشخص الأمرد).

الأول : هاه، الحرامي! . . . وهذا شريكه! . .

الثاني : إبريقي! . . . أعد إليَّ إبريقي! . . .

الأمرد : أي إبريق؟

الثاني : وتسأل أيضاً؟ إبريقي النحاسي الجديد! . . . (يقترب من حمار جحا ويبحث في الخرج).

جحا : وهل تعتقد أنه قد نَمَتْ لإبريقك رجلان فقفز من تلقاء نفسه إلى خرج حماري واختبأ هناك؟

الثاني : نمت له رجلان؟ قفز من تلقاء نفسه إلى الخرج؟

الثالث : وفوق كل شيء، يضحكان علينا!

الثاني : (يخرج الإبريق من الخرج). . هاهو! أيها اللصان الحقيران!

(المسافرون يندفعون نحو جحا والأمرد وهم يصرخون)

الثالث : ياعديمي الشرف! . .

الاول : لنلقنّهما درساً لاينُسى!

الثاني : (يضرب) خذا ياصعلوكان!

الأولّ : اضربوا! . .

الرابع : (للأولّ) اضربهما بكعبك. هكذا. . . هكذا! . .

(لبعض الوقت لانرى سوى القبضات وهي ترتفع وتنخفض منهالة ضرباً).

الثاني : هذا درس لكما أيها الصعلوكان الحقيران! . . .

(المسافرون ينصرفون).

جحا : (ينهض متثاقلاً ثم يعطس من الغبار ويقول للأمرد المستلقي على الأرض): كيف وصل الإبريق إلى خرج حماري؟ هل بإمكانك أن تجيبني على هذا السؤال يافاعل الخير؟

الأمرد : من حسن حظنا أنهم كانوا حفاة الأقدام. . .

جحا : لست أفهم أين حسن الحظ هنا! . .

الأمرد : حسن الحظ في أنهم ضربونا بأقدام عارية. فما أكبر

الفرق بين الضرب بقدم عارية والضرب بقدم في حذاء!

جحا : واضح أنك أكثر مني خبرة في هذه الأمور.

الأمرد : الأحذية الحلبية أشدّها أذى للأضلاع. ألم تجرّبْها؟ شيء مؤسف! الحذاؤون هناك يصنعون مقدمة الحذاء من جلد البقر القاسي.

جحا : لم أجربْ على أضلاعي ضربات الأحذية الحلبية ولاأنوي تجريبها... مع السلامة!... (يسحب الحمار).

الأمرد : (يبكي فجأة ويركع على ركبتيه أمام جحا معترضاً طريقه). أيها المسافر النبيل...

جحا : هل تحتاج إلى نقود؟.. انتظر... (يمد يده إلى زناره ليعطيه).

الأمرد : وما حاجتي إلى النقود مادمت أستطيع سرقتها في أي وقت! نعم، أنا حرامي! لصٌّ خسيس! أعرفُ هذا! ولكنْ صدِّقني أنَّ معاناتي لاتضاهيها معاناة. اسمع حكايتي أيها المسافر النبيل، لعلَّك ترأف بحالي ولاترفض مرافقتي في رحلتك...

جحا : حسناً . . تكلَّم .

لأمرد : مأساة حياتي تستحقُّ أن تكتب بالإبر على مآقي البشر .
لقد ظهرت عندي هواية السرقة منذ أن كنت طفلاً رضيعاً في أحضان أمي . فسرقت من صدرها دبّوساً من فضة . وبينما كانت أمي المسكينة تقلب البيت بحثاً عن الدبوس ، كنت أضحك في سري وأنا لم أتعلَّمِ الكلام بعد . ولما تعلمت المشي كنت أسرق من بيتنا كل ماكان يقع تحت يدي .
وأخيراً نفد صبر والدي فلعنني وطردني من البيت .
غادرت المنزل بعد أن سرقت عباءة والدي الوحيدة وآخر ماكان يملك من النقود . . . ستة وعشرين ديناراً .
كان عمري حينها ثماني سنوات ونصف السنة . ومنذ ذلك الوقت وأنا أتنقَّل من مكان إلى آخر كالكلب الشريد معرِّضاً حياتي للأخطار الكبيرة ولتقلُّبات الدهر المريرة . .

جحا : هم ـ م . . . وتريدني بصحبتك أن أتعرَّض لمثل هذه الأخطار ، كما حدث اليوم؟

الأمرد: لست أدري ماذا أفعل! لقد تنقَّلت بين مدنٍ لايحصيها

عدد. . فاس. . . البصرة. . . كابول. . . وحتى القاهرة. وكنت أسرق في كل مكان أذهب إليه. ولاأقولها للفخر، ولكنْ هيهاتَ أنْ يوجد من يجاريني مهارةً في حرفة السرقة الحقيرة.

جحا : حتى لصّ بغداد المشهور؟

الأمرد : (يضحك) لص بغداد؟ اعلم إذن أنني أنا هو لص بغداد المشهور!

(جحا ينظر إليه بدهشة. فترة صمت) كان عمري ثمانية عشر عاماً عندما سرقت كنز الخليفة في بغداد. وبعدها طارت شهرتي في البلاد.

جحا : يقال إن لص بغداد تزوَّج ابنة الخليفة في النهاية. . !.

لص بغداد : كَذِبٌ! منذ الطفولة وأنا أحتقر النساء. والحمد لله أنني لم أُعانِ من ذلك الجنون الذي يسمُّونه الحب. أضِفْ إلى ذلك أنك عندما تسرق النساء فإنهن يصرخن ويولولن بشكل لايترك في قلب أصحاب هذه الحرفة من أمثالي إلاّ الازدراء والاحتقار. أنا لاأقبل بالزواج حتى من أميرة الصين أو الهند.

جحا : سننتظر حتى تغير رأيك فيما يخص الزواج من أميرة الصين أو الهند، وبعدئذ نستطيع القول بأنَّ نصف المشكلة قد حُلَّ ولم يبقَ إلا إقناع الأميرة بالزواج منك ياعزيزي.

لص بغداد : جوابٌ مُفْحِم وكأن جحا نصر الدين هو الذي أوصاك به!

جحا : (يتوجَّس) وهل سبق لك أن التقيت بجحا نصر الدين؟

لص بغداد : بينما كنت أتجول يوماً في سوق سمرقند سمعت الناس يتهامسون : «جحا نصر الدين! جحا نصر الدين!» ثم لمحت وجهه للحظة واحدة. قلت في نفسي. إذن هذا هو جحا نصر الدين الذي يلعنه بعضهم ويمدحه بعض آخر. وعندئذ وسوس الشيطان لي...

جحا : تابع - تابع...

لص بغداد : اقتربت خلسة من حمار جحا ودسست قرناً من الفلفل الأحمر في مؤخرته. وعندما أحَسَّ الحمار بلدغ

الفلفل بدأ يحـرك ذيله في كل الجـهـات ثم ظن أن مؤخرته تشتعل فيها النيران فنهق واندفع لايلوي على شيء بعد أن ألقى طبعاً بالخرج عن ظهره وفيه زوادة جحا من الخبز والمشمش وحطّم الأواني الفخّارية وكلّ ما صادفه في طريقه فاندفع جحا للحاق به وساد الهرج والمرج في السوق وسرقت جبته دون صعوبة تذكر.

جحا : إذن كانت تلك فعلتك ياابن الزانية! لو تعرف كم دفعتُ يومئذ ثمن الأواني والبضائع التي أتلفها الحمار! أُقسم بالله لم يسبق أن مزح معي إنسان قبلك مثل هذه المزحة.

(يعي لص بغداد أن محدّثه هو جحا نصر الدين فيعيد له كيس النقود باضطراب).

(يمد يده إلى زنّاره فلا يجد الكيس). وأفلحت في سرقتي الآن أيضاً؟

لص بغداد : بارك الله بالصدفة التي جمعتنا! أنقذني ياجحا وداوِني من علّتي المُزمنة!

جحا : ومن قال لك إنني أُطبِّب صعاليك اللصوص؟! اتركني قلت لك!

لص بغداد : أرجوك ياجحا . . لاتتركني! لقد تعبت من احتقار الناس لي وتعبت من العيش وحيداً في هذا العالم . أُقسم لك أنني سأخدمك بشرفٍ وإخلاص ولن أسرقك أبداً!

جحا : والآخرون؟

لص بغداد : لو تعرف كم أرغب في ترك الآخرين لحالهم! لكني لا أستطيع! إذا امتنعتُ يوماً واحداً عن السرقة أصابني المرض ودنا أجلي .

جحا : حسناً . . سآخذك معي . ولكن شريطة أن تُداوي علّتَك الخطيرة بعد استئذاني .

لص بغداد : (بخضوع) سأحاول ! سأبذل جهدي! . .

(جحا يركب حماره ويركب لص بغداد خلفه) .

جحا : (يغنِّي)

النجمةُ تسطع من أجلي

والماء تدفَّق كُرْمى لي

وشبابي ليس يفارقني

أنا ذا الإنسان

المنشد ينشد من أجلي

والعازف يعزف حبّاً بي

ولهيبُ حياةٍ في روحي

أنا ذا الانسان .

اللوحة الثَّانية

حديقة بيت محمد علي. زُلفى تزيِّن بالشرائط الملوَّنة أغصانَ شجرة تفاح مزهرة. سعيد يقفز إلى الحديقة عبر السياج.

سعيد : زلفى... حلَّت بنا المصيبة!

زلفى : ماذا هناك ياسعيد؟

سعيد : سيعطونك لآغا بيك!

زلفى : (تتجمَّد في مكانها للحظة ثم تمسك بيد سعيد). لنهرب من هنا!

سعيد : إلى أين نهرب؟

زلفى : لا أعرف إلى أي مكان... إلى الصحراء. إلى الجبال... لنهرب إلى أي مكان! بسرعة!

(تجرُّ سعيداً خلفها فيصطدمان عند البوابة بالفلاحين يتقدمهم يرمات في جبة مهلهلة).

يرمات : ألـم أقـل لكـم؟ . . . سيـلجـآن لـلـخديـعـة؟! لقـد أرادا الهرب!

الفلاح الأول : زلفى! هل نسيت كيف أنقذتك من الموت بعد أن لدغك العقرب عندما كنت صغيرة؟ أهكذا تردِّين لي الجميل؟ تحكمين عليَّ وعلى عائلتي بالموت جوعاً؟

زلفى : لـمـاذا. . . لـمـاذا أنـقـذتـنـي؟ كـان مـن الأفـضـل لي أن أموت؟

محمد علي : (يتناول يد الفتاة) آه ياسعيـد. . . ياسعيـد! نحن نعرف أنك تحبهـا، لكن هل يرضيك أن تهلك الضيـعة كلها بسببك؟

سعيد : لكنك وعدتني بالزواج منها ياعمي!

محمد علي : ماباليد حيلة يابني. . نحن أناس ضعفاء وآغابيك غنيٌّ قادر على كل شيء.

سعيد : جبناء. . أرانب. . كلكم أرانب!

يرمات : هل سمعتم؟ هل سمعتم كيف يسبُّنا؟!

(مـحـمـد علي يُدخِل ابنتـه إلى البـيت وهي تبكي. الفـلاحـون ينصـرفون في صمـت. سعـيد يبـقى مطرقـاً برأسه بعض الوقت ثم يحزم أمره ويستلّ سكِّيناً طويلاً يدسُّ مقبضه بيدين مرتجفتين في جذع الشجرة وحَدُّه

إلى الأعلى. جحا ولص بغداد يظهران من خلف سعيد ويرقبان هذا المشهد بصمت).

سعيد : (يخلع جبَّته ويفرشها على الأرض ثمَّ يغمض عينيه ويدير ظهره للسكين ويصلّي). ياربّ... يا أرحم الراحمين.. أعفُ عنِّي لقتلي نفسي بهذا الشكل. لم أعرف طعم السعادة في حياتي.. وعندما ظهرت بارقة أمل، هاهم ينتزعون مني سعادتي الوحيدة والأخيرة، ينتزعون مني حبيبتي زلفى!..

(جحا يتسلَّل إلى جذع الشجرة وينتزع السكين ثم يجلس على الجذع).

(بعد أن أنهى صلاته). لاتجعل عقوبتي شديدة يارب! اجعلني رماداً في أرض الجنّة يارب!

(ينهض من ركوعه ويُغمض عينيه ثم يلتفت ويندفع نحو نصل السكين فيقع في أحضان جحا).

جحا : الآن ماهو شعورك وأنت في العالم الآخر؟

سعيد : (يفتح عينيه) أين أنا؟

جحا : في أحضان عزرائيل.. ملك الموت. هل يدهشك عدم وجود جناحين لي؟ كُلُّ مافي الأمر أنني نسيت أن آخذهما معي اليوم.

سعيد : لماذا، لماذا أنقذتني من الموت ياعابر السبيل؟

جحا : حدِّثْني أيها الشاب عن سبب إقدامك على هذه الفعلة الرهيبة! فقد أستطيع مساعدتك.

سعيد : لا أحد يستطيع مساعدتي. . لا أحد! . . . آه لو كان في استطاعتي سرقة تلك الآلاف الأربعة من الدنانير الملعونة. . .

لص بغداد : (منعشاً) أنا. . أنا أسرقها. .

(جحا ينظر إليه بقسوة فيتوقف عن الحديث)

سعيد : حكايتي ومافيها أنني أُحِبُّ فتاة رائعة، وبعد عشرة أيام. . . باللمصيبة، ياللعار! . . . سيزوجونها لآغا بيك صاحب البحيرة!

جحا : آغا بيك؟

سعيد : نعم آغا بيك. . . الإنسان الذي يجمع في نفسه وحشية التنين وشراهة العنكبوت! لقد طلب من أهل الضيعة مقابل مياه السقاية أربعة آلاف دينار، أو محبوبتي زلفى.

لص بغداد : (وقد فهم أنَّ ثمة قصة حب)، آ، قصة حب! . . (يبتعد عنهما ويستلقي على الأرض).

جحا : وهل تدفعون مقابل مياه السقاية هذا المبلغ منذ زمن بعيد؟

سعيد : كلَّ عام، طيلة ست سنوات . . منذ أن أصبح آغا بيك مالكا للبحيرة. منذ ذلك التاريخ وهو يتقاضى منا النقود. أما الآن! . . عِرْسُنا كان سيقام بعد أيام . . . وفجأة ظهر آغا بيك ...

جحا : (وقد لاحظ شجرة التفاح المزينة بالشرائط). ماهذه الشرائط؟

سعيد : غرس والد حبيبتي شجرة التفاح هذه في عيد ميلادها . وقد اعتادت زلفى تزيين الشجرة بشريط معين كل يوم من أيام الأسبوع.. يوم السبت ـ أحمر، الأحد ـ أبيض، الإثنين ـ أصفر، الثلاثاء ـ أزرق، الأربعاء ـ وردي، الخميس ـ أخضر، أما يوم الجمعة فتزينها بالألوان الستة كما ترى... (يبكي بحرقة).

جحا : إهدأ أيها الشاب! حبيبتك زلفى لن تكون من نصيب آغا بيك، بل ستتزوجها أنت وتعيشان العمر الطويل معاً، كما أعيش أنا مع زوجتي غولجان. وسترزقان من الأولاد والبنات مايجعلكم تُخطئان في عَدِّهم... سبعة، ثمانية، تسعة ...

سعيد : أراك تسخر من مصيبتي أيها الغريب ...

جحا : عُمري لم أسخر من مصيبة أحد. قد أسخر أحياناً من مصيبتي الشخصية، أما من مصائب الآخرين ... أبداً! سأساعدك.

سعيد : وكيف أُصدِّق ماتقول؟

جحا : هل تريد أن تعرف كيف؟ حسناً. سأبوح لك ... أنا جحا نصر الدين.

سعيد : جحا نصر الدين؟! (يتجمد في مكانه لحظةً ثم ينحني ويقبِّل طرف جبة جحا باحترام).

جحا : (يسحب الجبة). قلت سأساعدك، يعني سأساعدك! لكن أَقسِمْ أوّلاً ألا تخبر أياً كان عن لقائنا في هذا المكان!

سعيد : أُقسِم بالله أن أفعل ماطلبت!

جحا : ومع ذلك فأنا واثق أنك سوف تخبر بالقصة حبيبتَك التي لامثيل لها ... لكن حذِّرْها أن القضية ليست مزاحاً ولتحفظ لسانها الوردي الذي لاأشك في طوله.

سعيد : أُقسِم لك ألا أخبر حتى زلفى!

جحا : أين أستطيع إيجاد صاحب البحيرة؟

سعيد : يتردَّد كل يوم في مثل هذا الوقت على مقهى الضيعة .

جحا : والآن أصبح عندي كل مايلزمني من المعلومات . أما أنت أيها الشاب فانزع اليأس من قلبك ولتعلم أن المستقبل للشباب من أمثالك . . يجب ألا نفقد الأمل في السعادة أبداً... ولكن يبدو أن نصائحي تذهب أدراج الرياح! مالك تدور كمن نخست مسلة في مؤخرته؟ إلى أين تستعجل؟

سعيد (هامسا) زلْ . . فى ...

جحا: اعذرني أيها الشابّ! يبدو أنني هرمت حقاً وتمكَّنَ مني الحُمْقُ مادمت أُقَدّمُ لك مواعظي وحكمتي التافهة . طبعاً زلفى بالنسبة لك هي قمة الحكمة الآن . . اذهب إليها .

(سعيد يخرج راكضاً)

(يقترب من لص بغداد) . كيف الصحة يامرافقي العزيز؟

لص بغداد : إننا نغذ السير طيلة النهار . . (تدمع عيناه) دون أن أسرق شيئاً حتى الآن ... ادفنِّي في هذا الوادي .

جحا : انظر ... (يتناول عوداً ويرسم به دائرة على الجدار الطيني) .

لص بغداد :(يقفز من الفرح) . رغيف ! سمعاً وطاعة ! (يندفع للخروج) .

جحا: (يستوقفه) أي رغيف؟

لص بغداد : الرغيف الذي رسمتَه وسمحتَ لي بسرقته ! لعلَّك أردت سلَّةً كاملة من الخبز أو طبقاً من الفضة؟ سمعاً وطاعة .

جحا: هذا ليس رغيفاً ولا طبقاً من الفضة . إنه أثمن مما تظنُّ .

لص بغداد:طبق من ذهب !

جحا: لا ... إنها ... دائرة السعادة !

(لص بغداد يتأوَّه ويستلقي من جديد على الأرض) .

وفي سبيلها أسمحُ لك بالتداوي بعض الشيء . سنذهب معاً إلى قوقند وهناك تستطيع التقاط أربعة آلاف دينار .

لص بغداد: (يقفز من الفرح) أشكرك ياجحا !

جحا : ولكن شريطة أن تكون سرقةً بالحلال ... مفهوم؟ بالحلال حتماً !

لص بغداد: سرقة بالحلال؟ وكيف ذلك؟

جحا: لاأعرف ... أريد نقوداً حلالاً وكفى! فكِّر بنفسك. اذهب وانتظرني عند طريق قوقند. لديَّ عمل أقضيه هنا. وبعد ذلك ننطلق معاً إلى قوقند. (يخرج).

لص بغداد: أربعة آلاف دينار... نقوداً حلالاً؟! ماذا أفعل يارب؟ في حياتي لم أرَ النقود الحلال ولاأعرف كيف شكلُها! هل يريدني أن أشحذها له عند باب أحد المساجد؟!

اللوحة الثالثة

مقهى القرية. آغا بيك يشرب الشاي دون عجَلَة.
الفلاحون يتهامسون قرب المقهى، يريدون التحدث مع آغا بيك ولكنْ لا يتجرأً أي منهم على الإقدام وكلٌّ منهم يحثُّ الآخر.

وأخيراً يقترب العجوز يرمات من آغا بيك.

يرمات: (ينحني باحترام). هل يسمح لي آغا بيك المحترم أن أتوجَّه إليه بسؤال؟ (آغا بيك يهز رأسه موافقاً بتعالٍ).
نحن نعرف ثمن السقاية الثانية. لكنَّنا لم نسمع بعد عن ثمن السقاية الثالثة ولا ندري ماذا يجب علينا أن نجهِّز لك بالمقابل.

آغا بيك: (باختصار منذر). ستعرفون!

(يرمات ينحني باحترام لآغا بيك ويعود إلى الفلاحين فينصرفون معاً. يدخل جحا).

جحا: ياقهواتي! إبريقاً من الشاي الثقيل وحزمةً من البرسيم الحماري! (يجلس بالقرب من آغا بيك. القهواتي يُحضر إبريق الشاي وفنجاناً. آغا بيك ينظر إلى جحا باهتمام).

(بينه وبين نفسه) ياللحظّ العاثر... يارياح الشؤم...

آغا بيك: هل يلاحقك أحد أيها الغريب؟

جحا: سوء الحظ والمصائبُ والفشل... ذلك من يلاحقني!

آغا بيك: إلى أين وِجهتُك؟

جحا: لافرق عندي أ إلى الجنوب أو الشمال، إلى الشرق أو الغرب... (يهزُّ كيس نقوده). كان عندي نقود كثيرة لكنّي خسرتها في القمار، ولم يبقَ لي سوى مئة وخمسين ديناراً سأحاول إنفاقها بقدرٍ أكبر من التعقل. سأختار عملاً يناسبني...

آغا بيك: التجارة؟

جحا: لا.. لاأحب التجارة. الوظيفة.. وظيفة في مكان هادئ يمكّنني من متابعة أبحاثي العلمية (يهز كيس النقود). الوظيفة.. مادم باقياً لديَّ مبلغ محترم من المال...

آغا بيك : إذن أنت مسافر تبحث عن وظيفة؟

جحا : طبعاً، ليس عندي ماأفعله هنا! إيْ، الحسابَ ياقهواتي؟

آغا بيك : انتظر! أعرف مكاناً يناسبك... مكاناً قريباً جداً من هنا.

جحا: هل هي عادةُ محدِّثي المحترم أن يتكلم بالألغاز!

آغا بيك: أجِبْ أوَّلاً عن أسئلتي لأكشف لك عن مغزى كلماتي. هل سبق لك أن زرت هذه القرية قبل الآن!

جحا: لا ، أبداً!

آغا بيك : هل لك أقرباء فيها؟

جحا: لا ، تركت كل أقربائي في بخارى .

آغا بيك: وأصدقاؤك؟ أليس لك صديق في هذه القرية ، أو كان لك فيها صديق في وقت ما؟

جحا: ليس لي فيها أحد ممن ذكرت .

آغا بيك: قل لي . . . ألا يمكن أن يكون لأقربائك البخاريين أصدقاء هنا ، أو بالعكس ، أن يكون لأحد البخاريين أصدقاء هنا؟

جحا : لا أنا ، ولا أقربائي ولا أصدقائي ولا أقرباء أصدقائي ، ولا أصدقاء أقربائي ، لم تطأ اقدامنا أرض هذه القرية ولم نسمع عنها أو نرها في حياتنا!

آغابيك : بقي سؤال واحد. ألم يحدث أن أحسست بالشفقة على الناس الغرباء المساكين؟

جحا : أنني أصرف كل ما في قلبي من الشفقة على نفسي ولايتبقى للغرباء شيء.

آغا بيك : جواب معقول! والآن اسمعْ مايثير دهشتك ويُدخل السعادة إلى قلبك. هل رأيت بحيرة الضيعة، وهل تعرف مالكها؟

جحا : البحيرة رأيتها، ولكنني لم أتشرف بالتعرف على صاحبها.

آغا بيك : أنا مالك البحيرة! أنت تبحث عن مكان ترهن فيه ماتبقى معك من نقود، أليس كذلك؟ مارأيك بوظيفة حارس للبحيرة؟

جحا : حارس للبحيرة؟! لست أدري ماذا أقول.. الرفض وارد، والموافقة واردة.. أعطني يوماً أو يومين للتفكير في الأمر...

آغا بيك : هذا هو الشخص الذي أحتاج إليه! لا أهْلَ ولا أقرباء ولا أصدقاء.. مقطوع من شجرة! أخيراً وجدت من أستطيع الاعتماد عليه في حراسة البحيرة!

اللوحة الرابعة

دكَّان الصرَّاف رحيم باي في سوق قوقند. يظهر جحا ولص بغداد.

لص بغداد: (لجحا) نقودٌ . . . أين هي تلك النقود؟ ليس في السوق كلها دينار واحد كسبه الباعة بالحلال!

(تقترب أرملةٌ من دكَّان الصرَّاف وعلى وجهها نقاب)

الأرملة : أيها الصراف الطيب، لقد جئتك راجيةً . . .

رحيم باي : انصرفي عني! أنا لا أوزِّع الصدقات!

الأرملة: إنني لا أطلب منك صدقة. لقد بقي لي بعد وفاة زوجي بعض المجوهرات فاحتفظت بها لليوم الأسود. والآن أطفالي الثلاثة جائعون . . ولا أجد من يشتريها مني قبل أن يفحصها قائد الحرس كما تقضي تعليمات الخان. وأنت تعرف أيها الصرَّاف المحترم أنه لن يبقى لي بعد الفحص نقودٌ ولا مجوهرات، لأن قائد

الحرس سيدّعي أنها مسروقة ويصادرها لصالح الخزينة .

رحيم باي: ها ! . . لصالح الخزينة أوغيرها ، المهم سيصادرونها . أريني المجوهرات ! (تناوله الأرملة صُرَّةً صغيرة فيها عقد وقرطان) . كم تريدين مقابل هذه الأشياء ؟

الأرملة : ألفي دينار .

لص بغداد : (لجحا) إنها تطلب ثلث السعر الحقيقي . ذلك ياقوتٌ هنديّ أستطيع رؤيته من هنا .

رحيم باي : الذهب مخلوط ، والجواهر أرخص من الأحجار .

لص بغداد : (لجحا) إنه يكذب !

رحيم باي: وشفقة عليك أيتها المرأة أدفع لك مقابل كل هذا . . . أدفع . . . ألف دينار . .

(لص بغداد يقفز من مكانه فيمسكه جحا) .

الأرملة: قال لي زوجي قبل وفاته إنه دفع مقابل الياقوتة الواحدة أكثر من ألف دينار .

رحيم باي : لست أدري ماذا قال لك زوجك، ولكن لاتنسي أنَّ هذه المصوغات يمكن أن تكون مسروقة.
ألف دينار!

الأرملة: (يائسة) حسناً، موافقة . . . الأطفال جائعون . . .

رحيم باي : وماشأني أنا بأطفالك؟ (يخفي المصوغات ويعدُّ النقود) . . . خذي!

لص بغداد: (لجحا) لصٌّ سافل! . . . أنا نفسي حرامي وسبق أن رأيت لصوصاً كثيرين، ولكن لم تقع عيني على مثل هذا اللص الحقير أبداً!

الأرملة: (تَعُدُّ النقود). ولكنْ هذه خمسمئة فقط! . . .

رحيم باي: وكم تريدين حضرتك؟ (يرفع عقيرته بالصراخ على طريقة أهل السوق). إنني دفعت لكِ المبلغ الذي اتفقنا عليه عَدّاً ونقداً! لقد صفّيتُ حسابي معك فانصرفي من هنا!

الأرملة: إنَّنا اتفقنا على ألف دينار . . .

رحيم باي: قلتُ لكِ انصرفي من هنا! هل تريدين أن تنصبي عليّ؟ انصرفي وإلاّ سلّمتك وذهبك المسروق إلى قائد الحرس! . . .

الأرملة : النجدة! لقد سرقني! ساعدوني يا أهل النخوة!

رحيم باي: لقد عرفتك . . . إنك من اللصوص الشحَّاذين! شحَّاذةٌ زوجةُ شحَّاذ! . . وأطفالك كذلك. (يقرع الطبل ويدخل كميل بيك يرافقه الحراس. الأرملة تسكت وتتراجع إلى الخلف. جحا ولص بغداد يتراجعان أيضاً إلى خلف الزاوية ويراقبان مايجري) .

كميل بيك: السلام على رحيم باي المحترم، زينةِ تجّار المدينة! لقد سمعت صراخاً من جهة دكانك .

رحيم باي: هذه الشحَّاذة الوقحة تتعدَّى على النظام. دفعت لها خمسمئة دينار مقابل مصوغاتها كما اتفقنا فطلبت المزيد . .

كميل بيك: مصوغات؟ (للحرَّاس) احضروا المرأة إلى هنا!

(الأرملة تطلق ساقيها للريح) .

جحا: (للص) . الحق بالأرملة لنعلم أين تسكن . . .

(تدخل أرزي بيبي إلى الدكان. وجهها مطليٌّ بأصباغٍ يكشف عنها النقاب) .

كميل بيك: أهلاً بأرزي بيبي زوجة أفضل أصدقائي وأعزّهم على قلبي .

(أرزي بيبي تردُّ التحية بانحناءةٍ خفية)

رحيم باي: انظري ياعزيزتي إلى هذه الهدية الثمينة التي جهَّزتها لكِ خصيِّصاً!

(يخرج مصوغات الأرملة وينظر إليها بإعجاب ثم يقدِّمها لزوجته).

أرزي بيبي: أشكرك يازوجي العزيز، أشكرك ياحبيبي.

كميل بيك: ستزيدك هذه المجوهرات سحراً أيتها الفاتنة. من المؤسف حقاً أنَّ التمتع برؤية وجهك الملائكي الذي تزينه هذه المصوغات الرائعة حِكْرٌ على زوجك وحده.

(يفتل شاربيه وينظر خفية إلى أرزي بيبي التي ترفع النقاب قليلاً وتردُّ على كميل بيك بنظرةٍ صارمة).

رحيم باي: لعلَّه لايُضيرك أن تلبسي هذين القرطين وهذا العقد وتكشفي عن وجهك لحظةً أمام صاحب السعادة كميل بيك، أفْضلِ أصدقائي وأَخلصِهم.

أرزي بيبي: كما تشاء يارحُّومة. (تستدير وتلبس المصوغات. تلتفت بعد رفع النقاب).

كميل بيك: (يقفز إلى الخلف وهو يتأوَّه وقد غطَّى وجهه براحة

كفِّه كأنَّ جمال المرأة قد أعمى عينيه). ياللسحر! أُقسِم أنَّ زوجتك قد استولت على حصَّة جميع نساء هذه المدينة من الجمال!!!

(لص بغداد يعود راكضاً إلى جحا).

لص بغداد: عندها ثلاثة أطفال حقاً... وجوههم شاحبة، وأجسامهم هزيلة.

جحا: تذكَّر بيت تلك الأرملة، ودكَّان هذا الصراف.

لص بغداد: أُقسِم أنني سأداوي علَّتي المزمنة عند هذا التاجر بالذات!

اللوحة الخامسة

غرفة رحيم باي مزيّنة بالسجّاد ومضاءة بمصابيح الزيت. فيها رحيم باي وزوجته أرزي بيبي.

رحيم باي : (يستعد للخروج). لقد رأيت الليلة حُلُماً مزعجاً جداً وكأنني وقعت في زريبةٍ مليئة بالبرسيم فابتلعني حمارٌ أبلق مع حقيبة نقودي، وبعدها ضرط الحمار وطرحني من مؤخرته مع الروث وبقيتْ حقيبة النقود في بطنه... (يعلّق حقيبة النقود في رقبته).

أرزي بيبي : متى ستعود؟ أم تريدني أن أتعذّب حتى الصباح مرة أخرى بانتظارك والقلق يقتلني خوفاً من أن يكون قد أصابك مكروه؟

رحيم باي : ماذا يمكن أن يصيبني يا روحي؟ فأنا ذاهب إلى وحيد لنلعب القمار. لقد خسرت في المرة السابقة ثلاثمئة دينار وآمل تعويض الخسارة هذه المرة.

أرزي بيبي: يشهد الله أنني تعوّدت على الإهمال

والوحدة. وأنت لاتستطيع أن تخصص لي أمسية واحدة ... ولو واحدة فقط!

رحيم باي: ياحبيبة قلبي ... (يريد تقبيلها).

أرزي بيبي: احتفظ بقبلاتك لنفسك! حياتك كلها في القمار والنقود والدكّان ... أما أنا فلا مكان لي في قلبك القاسي.

(رحيم باي يخرج. أرزي بيبي تتبرَّج أمام المرآة ثم تُسدِل النقاب على وجهها وتخرج مسرعة. من خلف الستارة. يظهر لص بغداد ويتفحّص المكان ثم يبدأ بتفتيش الغرفة)

لص بغداد: نقود حلال ... (يعثر على صندوق المجوهرات ويُخرج منه مصوغات الأرملة). مصوغات الأرملة ... مادام قد سرقها منها ... فهي إذن حلال ... (يُخفيها في زناره)

(يُسمَعُ صوت القفل وصرير الباب الخارجي وبعض الأصوات الآدمية. لص بغداد يختبئ في الصندوق الكبير).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! ...

(تدخل أرزي بيبي وكميل بيك، فيغلق لص بغداد على نفسه غطاء الصندوق).

كـمـيل بيك :إنكِ تمزقين قلبي بعتـابك القـاسي ياحبيبتي!
صدِّقيني أنني لا أحب غيرك في الوجود.

أرزي بيبي: لاداعي للكذب! كن صادقاً ولومرةً واحدة في حياتك، أو في لقائنا الأخير هذا على الأقل.

كميل بيك: الأخير؟ ولماذا الأخير ياسلطانة قلبي وكبدي؟

أرزي بيبي: أنت تعرف لماذا.

كميل بيك: لاترفعي صوتك ياربة الحسن والجمال!
قد يسمعوننا!

أرزي بيبي: ليس في البيت غيرنا.

كميل بيك: هل أنت واثقة من ذلك؟

أرزي بيبي: يالك من جبان! انظر في هذا الإبريق... أو في هذا الصندوق... لقد خاب ظني فيك ياصاحب السعادة، ياكميل بيك، كنت أتوقع أن تكون من أشجع الرجال، فإذا بك أجبن من أرنبٍ مذعور...

كميل بيك: لست جباناً ياعزيزتي بل أنا حذِر. تعرفين العقاب الذي ينتظرنا لو انكشف أمرنا...

أزري بيبي: عندمـا تحب المرأة فـإنهـا لاتفكر بالنتـائج ! لكني دعوتك اليوم من أجل أمرٍ آخر . فأنا أريد الحقيقة . أريد أن أعـرف لماذا كنتَ من قـبل تأتي إليَّ بكلِّ جـرأةٍ غـيـرَ منصتٍ إلا لنداء قلبك ، أمـا الآن فـأصـبـحت تتـجنَّب اللقـاء بي ... لماذا لاتجيب؟ حسناً . سـأجيب أنا عنك . إنك لـم تعـد تحـبني! مكاني في قلبك الخـائن القـاسي تشغله الآن امرأة أخرى ! ... إياك أن تكذب ...

كميل بيك: تخطئين ، ياأعطر الورود عـبـقـاً! أأعـمى أنا كي لاأرى هـذا الـحـسـن والـبـهـاء! أُقـسِم لك بتـراب أجدادي أنني ...

أرزي بيبي: لاداعي للقسم! قل لماذا لم تحضر البارحة؟ ...

كميل بيك: زوجُك ...

أرزي بيبي: زوجي؟ لكنه كان في المرات السابقة أيضاً ...

كميل بيك: دعيني أُكمل ... إنه يشكّ ...

أرزي بيبي: يشك؟

كميل بيك: نعم! لـقـد شعـر بحبنا فـراح يراقـبنا . هل تذكـرين ياسـاحـرة العينين كيف طلب منك أن تكشـفي وجـهك

أمامي في الدكان؟ هل تعتقدين أنه فعل ذلك لله؟ كلا ... إنه كان يمتحننا . لقد تبادلنا، أنا وأنت النظر بعينين تلتهبان رغبة، أما هو فكان يراقب كل حركة من حركاتنا، ويُحصي دقَّات قلبينا .

أرزي بيبي: يراقبني؟! إنه لايجرؤ على ذلك!

كميل بيك: لقد تجرأ .

أرزي بيبي: لا، لا، ثم لا! (تضحك) . لقد أصبحت تخاف من خيالك ياكميل بيك ...

كميل بيك: أرزي بيبي ... حبيبتي، إننا نقف على حافة الهاوية ...

أرزي بيبي: (بلطف) لا، بل نحن مستلقيان في حديقة مزهرة! اجلس بقربي ... اخلع عنك سيفك ومعطفك الخشن هذا ...

كميل بيك: وإذا جاء أحد فجأة؟ ...

أرزي بيبي: لن يأتيَ أحد .

كميل بيك: وزوجك؟

أرزي بيبي: لقد ذهب التيس ليلعب القمار مع المرابي وحيد . أي أنه لن يعود قبل الفجر .

(كـميل بيك يحلُّ حـزامـه ويضـعـه مع السيف جـانبـاً ثـم يخلـع مـعطفـه ... أرزي بيـبي تغلق البـاب بالمزلاج . لص بغداد يرفـع غطاء الصندوق بحـذر ويتنفس بعـمق . فـجأة يسمع صوت إغلاق الباب الخارجي بشدة) .

صوت رحيم باي: افتحي الباب!

كميل بيك: إنه رحيم باي! لقد انتهيت ... (يدور في المكان) .

صوت رحيم باي: قلت لك افتحي ، هل أنت نائمة؟

أرزي بيبي: (بصوت ناعس متصنّع) . لحظة ، لحظة ... لاتطرق البـاب بهـذه القـوة ... رأسي يؤلمني (لكمـيل بيك) . لاتخـفق بكعـبي حـذائك بهـذا الشكل ياأحـمق ... قـد يسمع ... (لزوجها) . لحظة ، لحظة ... لست أدري أين اختـفى خـفِّي ... (لكمـيل بيك) اختـبئ في الصندوق بسـرعـة وأنا أتكفَّل بإبعـاد زوجي ... (لزوجـهـا) آتيـة ، آتيـة! ياالله ... بيتٌ لايسـتطيع الإنسـان أن يجـد فـيـه لحظة هدوء!

كميل بيك: (يندسُّ في الصندوق مرعوباً فلا يرى شيئاً) ... في الصندوق شيء ليِّن ...

أرزي بيبي: إنها مخدَّة الريش.

كميل بيك: وقاسٍ كذلك...

أرزي بيبي: أُدخُل أخيراً!

(كميل بيك يندسُّ في الصندوق. أرزي بيبي تغلق الغطاء عليه وتخرج من الغرفة بسرعة. يُفتح جدار الصندوق المواجه للجمهور)

لص بغداد: مهلاً، إنك تدوس بطني!

كميل بيك: ماذا؟ من هذا؟

لص بغداد: أين تدسُّ إصبعك؟ هذه أذني!

كميل بيك: مَنْ هنا؟

لص بغداد: هُسْ! أجئتَ إلى هنا! لاتخَفْ ياصاحب السعادة كميل بيك... لن أسبِّب لك أيَّ أذى.

كميل بيك: من أنت؟

لص بغداد: (بغضب). اخرس. وإلا فتحتُ بطنك بهذا السكين!

(يهدآن في الصندوق. أرزي بيبي ورحيم باي يدخلان الغرفة).

أرزي بيبي: حسنٌ أنك عدتَ اليوم مبكراً!

رحيم باي: لم يكن وحيد في البيت. يبدو أنه ذهب إلى عشيقته في حارة السقّائين.

هل وصلكِ الخبر؟.. لقد وجد عشيقة، هذا الفاسق العجوز!

أرزي بيبي: (بغضب) عشيقة؟ يا لقِلّة الأخلاق!

رحيم باي: نعم يا عزيزتي! لقد بلغ الفسقُ والفجور في مدينتنا حداً دفع الخان الأعظم لإعطاء الأمر بقطع رأسِ كلّ مَنْ..

أرزي بيبي: (تتأوّه). لقد هدّني المرض... أرجو أن تجيئني بالطبيب سعدِ الله...

رحيم باي: سأستدعيه في الحال...

(كميل بيك يتحرّك فيضغط لص بغداد على يده بغضب).

ماهذا؟ سمعت حركة...

أرزي بيبي: لعلّها الفئران من جديد...

رحيم باي: بالمناسبة هل سمعتِ بهذا الخبر؟ أتذكرين تاجر

الجلود نعمةَ الله؟ لقد ضبط زوجته مع ... مع من تظنّين؟ لقد ضبطها في بيته مع ناظر السواقي والآبار في المدينة.

أرزي بيبي: ضبطها مع رجل غريب؟!

رحيم باي: نعم، ويقال إن القضية سترفع للخان الأعظم. لاأحسد الناظر على هذه الوقعة.

أرزي بيبي: يستحقٌّ على تهتُّكه وفجوره!

رحيم باي: أما زوجته الخائنة فتنتظرها عقوبة الجلد!

أرزي بيبي: مثلها يجب أن تُحرق بالنَّار أو أن تُلقى في حلَّةِ ماءٍ يغلي!

لص بغداد: (يهمس في الصندوق). أين تدس قدميك ... لقد بلغت كبدي في بطني ...

كميل بيك: هُسْ... ستقضي علينا بفحيحك هذا ...

رحيم باي: هل سمعتِ؟ ... مرة أخرى ... كأنّ الصوت يأتي من الصندوق ...

أرزي بيبي: ليس من الصندوق، بل من تحت الأرض. إنها الفئران!

رحيم باي: نحتاج إلى قط. سأستعير قطاً من عند الطبيب وأعود بسرعة. لا تنهضي.. لاداعي. سأقفل الباب من الخارج كي لاأزعجك بالنهوض. (يقع نظره على الحزام الفضِّي والسيَّف الذَّهبيّ والمعطف) ماهذا؟

أرزي بيبي: (في اضطراب). هذا... هذا... لست أدري...

رحيم باي: ماهذا؟! ومن أين؟!

أرزي بيبي: أنا... أنا أردت أن أُهديك هذه الأشياء.

رحيم باي: هديَّة؟ لي؟ سيف؟ كذبة! اعترفي لمن هذا المعطف وهذا السيف؟

أرزي بيبي: لكَ، لكَ! لاتصرخ بهذا الشكل... قد يسمعك الجيران!

رحيم باي: طزّ! فليسمعوا. وليعرفوا. من كان هنا في غيابي! آ-آ، لاتجيبين أيتها الفاجرة؟! قولي... من؟

(فجأة يفتح غطاء الصندوق ويقف لص بغداد وسط

غيمة من الريش المتطاير أمام أعين التاجر وزوجته اللذين عقدت الدهشة لسانيهما).

لص بغداد: عزيزتي أرزي بيبي! ينبغي ألا نتمادى في خداع زوجك المحترم.

(أرزي بيبي تصرخ رعباً وتخفي رأسها في الوسادة).

عندما أحسست بالرقة التي تنبعث من حديث زوجك معك خجلت من نفسي وقررت التوبة. ومن حسن الحظ أننا لم نفلح في فرش سجادة الرغبة التي أخفيناها في صندوق الانتظار. إننا من الآن فصاعداً سنطوي هذه السجادة الكريهة وندفنها في قبر الأبدية!

أرزي بيبي: (ترفع رأسها من الوسادة). أنا لاأعرفه... أراه لأول مرة في حياتي!

لص بغداد: ألم تستدرجيني إلى هنا وتقولي لي إن زوجك المحترم ذهب ليلعب القمار مع المرابي وحيد؟!

رحيم باي: حتى هذا ثرثرت له به!

أرزي بيبي: (تُلقي بنفسها على زوجها). اسمعني أرجوك! إنني لاأعرف هذا الإنسان!

رحيم باي: يالك من خائنة! تخدعين زوجك الذي أنعم عليك وانتشلك من براثن الفقر... تخونينني ياغادرة!! ومع من؟ مع أقبح خلق الله..!

لص بغداد: سبحان الله في طباع النساء...

أرزي بيبي: إنه يكذب!

رحيم باي: اخرسي يافاجرة!

لص بغداد: الحمد لله الذي صان شرفك من العار! وأُقسِم لك أنك لن تعود تراني أنت أو زوجتك بعد الآن! (يتجه نحو الباب).

(رحيم باي ينظر في إثره باضطراب ثم يلقي إليه بالحزام والسيف والمعطف).

رحيم باي: هاي.. أنت! التقطْ أغراضك!

(لص بغداد يلتقط السيف والحزام فيلفهما بالمعطف ثم يخرج).

أرزي بيبي: (تبكي). لاأعرفه... لاأعرفه!

رحيم باي: تكذبينَ أيتها الفاجرة! (يجلس) لقد كنت أثق بك

دائماً! . . يالكِ من إنسانةٍ خسيسة ناكرةٍ للجميل! ألم أهدكِ المصوغاتَ؟ . .

أرزي بيبي: لستُ بحاجةٍ إلى مصوغاتك! (تندفع إلى الخزانة وتفتح علبة المجوهرات تجدها فارغة فتطلق صرخة مكتومة) آه ...

(رحيم باي يندفع صوبها فينظر إلى العلبة ثم إلى زوجته).

يالك من غبيٍ عجوز! أرأيتَ نتيجة غيرتك الحمقاء؟ أين المصوغات؟ ألم تفهم بعد أن الشخص الذي كان هنا، لص؟ لص تسلّل إلى بيتنا وسرق المصوغات ياقليلَ العقل.

(ينسى الزوجان كلّ ماحصل ويندفعان راكضين في طلب اللص وهما يصرخان «امسكوا اللص». الغرفة فارغة. كميل بيك يرفع غطاء الصندوق ثم يخرج منه وقد غطاه الريش. يسير على رؤوس أصابعه وينسلُّ هارباً عبر النافذة).

الفصل الثاني

اللوحة السادسة

البحيرة، كوخ الحارس قرب بوابة البحيرة يسكنه الآن جحا مع حماره.

جحا: (للحمار) ماهذا الذي يقع لنا ياحماري الوفي؟ عندما سافرت زوجتي غولجان مع الأطفال إلى بخارى أوصتنا بحراسة البيت. ولكننا بدلاً من ذلك نحرس أملاك غيرنا. يجب أن نسرع في إنجاز مهمتنا هنا. فقد وعدت غولجان بإصلاح السياج قبل عودتها...

(يدخل سعيد وقد انحنى ظهره تحت عبء ثلاث سلال من الخبز وثلاث سلال من المشمش).

سعيد: لقد عقدت الدهشة ألسنة سكان القرية عندما قلت لهم إنني اشتريت لك ثلاث سلال من المشمش وثلاث سلال من الخبز. الجميع يقولون: هذا لايبشِّر بالخير!

جحا: وهل تؤمن بهذا أنت أيضاً؟

سعيد: عفواً... ولكن لم يبقَ على موعد السقاية إلا عشرة أيام فقط...

جحا: أعرف ذلك ياسعيد.

سعيد: لقد فقدتْ زُلفى أملَها وكادت تفقد بصرها من شدة البكاء، وزينت شجرة التفاح اليوم بالأشرطة السوداء! (يتهدَّج صوته).

جحا: فقدتِ الأمل؟ هذا فألٌ سيِّئ.

سعيد: أليس من الأفضل لنا أن نهرب قبل فوات الأوان؟

جحا: تهربان؟ إذا قررتما الهرب فيجب أن نهرب معاً نحن الثلاثة! بل نحن الأربعة، لأني لن أترك حماري هنا! وليس نحن الأربعة، بل نحن الخمسة. فقد نسيت شخصاً آخر. وبهذا لن يكون مانفعل هرباً، بل هجرة كاملة. (يضع يده على كتف سعيد). قل لزلفى إن كل شيء سيكون على مايرام.

سعيد: لن تصدقني.

جحا: وأنت، هل تصدقني؟

سعيد: (متلعثماً) ... بعد أن أصبحتَ حارساً للبحيرة ... هل ستبقى لديك رغبة في التفكير بمصيبتنا ...

جحا: يالك من عبيط! تعلَّم أن تثق بالأصدقاء، فالثقة بالأصدقاء من أنبل المعارف .

سعيد: اعذرني .

جحا: هل تثق بي؟

سعيد: (بصوت منخفض) أثق .

جحا: إذن زلفى ستثق بي أيضاً لأن ثقتك ستنتقل إليها . اذهب ... وتذكَّر أننا معاً على الدوام . مهما حدث فنحن معاً .

(سعيد ينصرف . الحمار يدس رأسه في السلة)

(يشده من ذنبه) . أين تدس رأسك يابرميلَ الزبل، ياطويلَ الأذنين! إذا أعدت الكرَّة سقتك إلى المسلخ ليسلخوا جلدك ويصنعوا منه طبلاً! ... أنا ... (يلاحظ قدوم شخص فيتناول سلة المشمش ويضعها أمام الحمار) .

اعذرني ياسيدي النبيل على هذا المشمش لأني لم أجد أفضل منه. لكنَّ الخبزَ اليوم جيد ...

(يدخل آغا بيك وينظر إلى جحا بدهشة)

لقد أوصيتُ لك ليومٍ غدٍ يا صاحب السمو على الكرز واللوز. (يضع أحد الأرغفة جانباً). هذا الرغيف لا يصلح لسموِّك لأنَّ فيه قطعةً من الفحم ... فلتأكل غيره ...

(آغا بيك يسعل. جحا يتصنَّع أنه قد فوجئ).

آغا بيك: هل تقدِّم المشمش علفاً لحمارك؟

جحا: هُسْ... كُرْمَى لله ياسيدي لاتلفظ هذه الكلمة الفظَّة ... فلا محلَّ لها هنا.

آغا بيك: كيف ... لامحل لها هنا؟ ها هنا حمار، وأنا أراه حماراً فأقول.. حمار.

جحا: ياإلهي.. (كررَّها ثلاثَ مرّاتٍ وكأنه تعمَّد ذلك!) خيرٌ لنا أن نذهب من هنا ونتحدث على انفراد.

آغا بيك: نحن هنا على انفراد ... إلا إذا كنت تعتبر الحمار ثالثنا!

جحا: رحمتَك يارب! (يكرِّرها للمرة الرابعة!) فلنذهب من هنا ياسيدي! . . أرجوك!

(يخلع جبته ويعلقها على عصاتين)

آغا **بيك**: خبز أبيض ومشمش...

جحا: سِرٌّ خطير!

آغا **بيك**: سِرٌّ؟ (يضع يده على أذنه علامةَ الإصغاء). أنا مصغٍ إليك.

جحا: لاتجبرْني على البوح به ياسيدي. إنه سر يخص عدداً من المتنفذين في العالم.

آغا **بيك**: إذن فاعتبرني واحداً منهم ونوِّرني بهذا السر.

جحا: إني أكنُّ لك عظيم الاحترام ياسيدي. فأنت في هذه القرية شخص قوي متنفذ حقاً. ولكنك لستَ إلا حشرة بالمقارنة مع أولئك المتنفذين!

آغا **بيك**: قَطَعَ الله لسانك على هذه الوقاحة!

جحا: اعذرني ياسيدي، ولكنْ إذا كان الحديث عن الأمراء والملوك . . .

آغا بيك: الأمـراء والملوك؟ أنت خـادمي وليس من حـقك أن تخفي عنِّي أيَّ شيء.

جحا: مـاذا أفـعل يارب؟ فـمن جـهـة ينبـغي ألاَّ أكـتم عن سـيِّدِ نعمتي أيّ سر . . .

آغا بيك: بالضبط . .

جحا: ومن جـهـة أخـرى، أخـشى غـضب العظمـاء والجـبـابرة الذين يستطيعون أن يحولّوني وإيّاك إلى رماد.

آغا بيك : لن أكشف السر لأي إنسان.

جحا : ألن تَعُدَّ ذلك وقـاحـة مني إذا مـارجـوتك ياسـيـدي أن تُقسِم على حفظ السر؟

آغا بيك: أُقسِم بحياتي الآخرة على حفظ سرك العظيم!

جحا: حسناً، سأكشف لك عن السر ياسيدي المحترم. لكنْ في صباح الغد.

آغا بيك: ولماذا في صباح الغد؟

جحا: لاأسـتطيع البـوح بالسـر قـبل هـذا الموعـد، حـتى لو اضطررت للاستقالة من وظيفة حارس البحيرة.

آغا بيك: تستقيل؟ ولماذا تستقيل ياعزيزي؟ سأنتظر حتى صباح الغد. (يخرج). (جحا ينحِّي الجبة التي تحجب الحمار).

جحا: التهمت كل شيء؟ أيها الكرش الذي ليس له قرار! متى ستفطس، عليكَ اللعنة؟ أين الرغيف الذي تركته لنفسي؟(لايجد الرغيف) إهه.. يبدو أنك قد أُصبت بذلك المرض الذي يتعالج منه رفيقُ الدرب البغدادي!

(الكلمات الأخيرة يسمعها لص بغداد الذي يظهر فجأة من خلف الكوخ).

لص بغداد: (يمد يده بالمصوغات لجحا). جحا! إنني الآن مستعدٌّ حتى لسرقة هذه البحيرة وبواباتها. ماعليك إلاأن تأمرني فقط!

اللَّوحة السا.

العجوز محمد علي في حديقة بيته يعزق الأرض حول شجرة التفاح المزينة بالشرائط السوداء. سعيد وزلفى يقفان جانباً ويتهامسان.

زلفى: لنهرب إلى أي مكان.. إلى خيام الغجر أو مضارب البدو.

سعيد: لا يازلفى، لم يعد هناك من داعٍ للهرب الآن.

زلفى: هل غيَّروا رأيك وأقنعوك ياسعيد؟

سعيد: لاتبكي واصغي إليَّ. لقد أصبح لدينا صـيو يدافع عنَّا.

زلفى: صديق يدافع عنا؟ من هو؟

سعيد: لا أستطيع أن أقول لك. ولكنِّي واثق من أنه يستطيع إنقاذنا.

زلفى: و هل صدَّقته؟

سعيد: آه يازُلفى! تعلمي أن تثقي بالآخرين... الثقة بالآخرين

علم عظيم! لو رأيت نظرة ذلك الشخص وسمعت صوته لصدَّقته.

محمد علي: (يترك المجرفة في التراب ويتوجَّه للعاشقَيْن) أرجو أن تغادرنا ياسعيد. لاتعذِّبْ نفسك ولا تعذِّبها.. لقد خرجتِ الأمور من أيدينا.. اذهب وسلِّمْ أمرك إلى الله... هذا هو حكم القدر! (يتنهَّد ويعود إلى شجرة التفاح).

سعيد: لاتفقدي الأمل يازلفى.

(تلتقي أيديهما ويتبادلان النظر لحظة، ثم يخرج سعيد بسرعة. زلفى تبكي بحرقة وتندفع إلى البيت. يظهر جحا عند سياج الدار ومعه لص بغداد).

جحا: (يمد يده بمصوغات الأرملة ويهمس). اطمرْها تحت شجرة التفاح ثم غطّها بالتراب...

(لص بغداد يتسلَّل إلى الحديقة فيطمر المصوغات تحت شجرة التفاح ثم يعود إلى جحا... محمد علي يقترب من الشجرة ويمهِّد ترابها. جحا واللص يراقبانه بنفاد صبر من خلف السياج).

لص بغداد : (يهمس). انظر إلى الأسفل! . .

جحا: (يهمس) انحنِ أيها العجوز . . .

لص بغداد: أكثرَ . . . أكثرَ . . . إه . .

(محمد علي ينحني كأنه قد سمعهما فتقع عيناه على المصوغات. يرفعها بيدين مرتجفتين فيسقط منه العقد. ينحني لالتقاطه فتسقط من يديه بقية المصوغات).

محمد علي: (ينادي) زلفى! . . . زلفى! . . .

زلفى : (مسرعة. ماذا بك ياوالدي؟! هل أنت مريض؟! (وقد رأت المصوغات). ما هذا؟ من أين هذه؟

محمد علي: عثرت عليها هنا! . . . الآن . . . تحت التفاحة . . . إنها ستنقذنا! (ينظر إلى المصوغات). هذه من الذهب الخالص . . هذه جواهر حقيقية . . . (يركع على ركبتيه) أشكرك يارب لأنك استجبت لدعواتي وتضرعاتي. لقد مدَّنا العليُّ القدير بملاكٍ من عنده ليجنِّب زلفى الرقَّ والعبودية.

جحا: (للص بغداد). أنت هو الملاك المقصود!

لص بغداد: (يقع على الأرض من شدة الضحك وهو يحرِّك رجليه في الفضاء). ملاك! . . . آخ، لا أصدق . . . ملاك! . . . إيه! . . .

(محمد علي وزلفى يدخلان إلى البيت ومعهما المصوغات).

(يمسح دموعه). بإشارة منك ياجحا أسرق لك أبعد نجم في السماء!

اللَّوحة الثَّامنة

البحيرة. . كوخ الحارس قرب البحيرة. في السماء شعاعُ الفجر الأوَّل. يدخل آغا بيك.

أغا بيك: هي. . ياحارس! لقد وعدتني أن تكشف السر هذا الصباح.

جحا: (يصرخ بشكل مفاجىء). ألف . . لام. . ميم. ! ألف . . . لام. . . راء. ! عرقوبٌ مرقوبْ! ياحاضر ياماضي يامنسوبْ! (يدور حول الكوخ) والآن لن يتنصَّت على حديثنا أحد.

آغا بيك: ومن كان يستطيع التنصُّت قبل هذه التعويذة؟ ما من أحدٍ في هذا المكان إلاَّ أنا وأنت إذا لم نأخذ الحمار بعين الاعتبار!

جحا: هُسْ. . ياسيِّدي! لقد سبق أن رجوتك ألاَّ تلفظ هذه الكلمة الشنيعة!

(ينهض وينحني بإجلال كبير للحمار). سيدي آغا بيك المحترم يرى أمامه وليَّ عهد سلطنة سمرقند الذي سحرتْه القوى الشريرة...

آغا بيك: وليُّ عهد سلطنة سمرقند؟! أمير؟!

جحا: نعم، إنه الابن الوحيد للسلطان أبي مسلم!

آغا بيك: (ينفجر ضاحكاً) هذا الحمار... أمير؟!

جحا: كُفَّ أيها الحقير! (ينحني للحمار). أرجوك ياسموَّ الأمير ألاَّ تغضب من تصرفات هذا الجاهل المغفَّل.

آغا بيك: إذن أهذا هو السر الذي انتظرته على أحَرَّ من الجمر!.. أيُّ أميرٍ هذا؟ إنه حمار لايختلف عن غيره من الحمير!

جحا: أرجوك ياسيدي! ألا يمكنك استعمال تعابيرَ أخرى؟ لماذا لاتقول: ذو القوائم الأربع أو طويل الذيل أو طويل الأذنين؟

آغا بيك: ذو القوائم الأربع، طويل الذيل، طويل الأذنين.. ماهو إلا حمار!

جحا: إذا لم يكن باستطاعتك ياسيدي أن تُحَسِّنَ ألفاظك، فأرجوك أن تخرس!

آغا بيك: أنا؟ أخرس؟! بسبب الحـ. . . .

جحا: أرجوك! أرجوك أن تضبط لسانك!

آغا بيك: . . . الحمار التافه!

(جحا يحجب الحمار بجبته من جديد ويبتعد بآغا بيك جانباً).

جحا : هنا نستطيع التحدث بكل راحة إذا خفضت صوتك الرنان طبعاً. وعندما تصل إلى هذه الكلمة الشنيعة ياسيدي فحاول أن تلفظها همساً.

آغا بيك : حسناً. . . مع أنني لاأرى ضرورة لذلك. . .

جحا: سترى حالاً. ألم تسمع في حياتك عن الممسوخين؟ خذ مثلاً عبدَ الله الفرُّوح الذي مُسِخَ نحلةً في البداية ثم تمساحاً ثم أعيد إنساناً. عمليةٌ واحدة لم يمرَّ بها عبدُ الله هذا وهي التحول من لصٍ مخادع إلى إنسانٍ شريف.

آغا بيك: سمعت بهذه القصة، سمعت، ولكنّي ظننتها مجرد خرافات.

جحا: والآن ها أنت ترى بعينيك.

آغا بيك: وأين الدليل؟ ماهو البرهان على أن هذا الحـ. . . (يخفض صوته) الحمار من سلالة كبار الأمراء؟

جحا: ذيله! خصلة الشعر البيضاء في ذيله هي الدليل.

آغا بيك: خصلة الشعر البيضاء؟ أستطيع أن أجد لك مئة حمار من هذا النوع!

جحا: لاترفع صوتك، أرجوك!

آغا بيك: هذا الحمار. . أمير! إذا كان هذا صحيحاً فأرجعه أمام عينّي إنساناً، أو بالعكس حول أي إنسان إلى حمار لأصدّق ماتدَّعي.

جحا: حسناً، سأعيده إلى هيئته الملكية الأصلية لمدة من الوقت.

آغا بيك: هَلُمَّ وبسرعة!

(جحا يقرأ التعويذة بصوت مصطنع وهو يخبط برجليه ويسير على أربع).

جحا: ألف ، لام، ميم! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! ألف، لام، راء! . . . عرقوب مرقوب! ياحاضرْ ياماضي يامنسوب . . ياكاف مرغوبْ! . . (فجأة يخطف الإناء الذي يحتوي على المادة السحرية ويدلقه على الجبة التي تغطي الحمار وعلى الحمار ذاته) . ألف، لام، ميم، ياقديرْ ياعليمْ! . .

(يشدُّ آغا بيك من كُمِّه) . لنبتعدْ من هنا ياسيدي! لايحقُّ للإنسان العادي أن يشاهد معجزة التحول وإلا أصابه العمى! . . . (جحا يبعد آغا بيك ويركع مصلّياً) .

آغا بيك: (يضحك باستهزاء) . والآن أين هي معجزتك؟

جحا: إنها لم تتمَّ بعد ياسيدي . لننتظر قليلاً .

آغا بيك: لن أنتظر أكثر ممَّا انتظرت! سيبقى الحمار حماراً، أما أنت فمن المستبعد أن تبقى حارساً للبحيرة .

(تشقُّ الصمتَ صرخةٌ مقلوبة مرعبة) .

جحا: (يركع على ركبتيه من جديد) . الحمد لك يارب القدرة! (ينهض) هيا بنا ياسيدي! لقد تمت المعجزة!

(يعودان إلى الكوخ . جحا يزيح الجبة لنرى بدلاً من

الحمار لصّ بغداد وقد لبس اللجام وقفطان كميل بيك والزنار الفضي الذي يتدلّى منه السيف الذهبي) .

لص بغداد (يصرخ) : أيها العبد الجاحد! هل تريدنا أن نتحمّل قلة تربيتك مزيداً من الوقت! مالك تقف هكذا فاغراً فاك؟ أسرِع بتخليصنا من هذه الأداة التي لاتلائم سموّنا! (يشير إلى اللجام) .

جحا : ليغفرْ لي سموُّ الأمير هذه الهفوة . (ينحني أمامه ويخلع عنه اللجام) .

لص بغداد: لشدَّما يثير نفوري تقصيرك المستمر!

جحا : بماذا أخطأت أيضاً ياصاحب السمو؟

لص بغداد: ثم تسأل أيضاً . ! وكيف تقف أمامي؟ انظر إلى نفسك! وهذا الشخص الغريب . . .

(لآغا بيك) مااسمك أيها العبد؟

آغا بيك : (وقد خانته ملكة النطق) تا . . . تا . . . . با . . . با . . . دا . . . دا . . . بيك .

لص بغداد: آ؟ ماذا قلت؟ تارا بيك؟

جحا: آغا بيك.

لص بغداد: إذن آغا بيك. اقتربْ منِّي.. اقترب ولا تَخَفْ!

(آغا بيك يقترب ثم يركع على ركبتيه).

(لجحا). هل رأيت؟ قرويٌّ جاهل ولكنه مهذب ويعرف أصول التعامل مع الأمراء انظرْ إلى انحناء ظهره. أمَّا أنت يامَنْ ستصبح ذات يوم كبير وزراء سلطنة سمر قند...

جحا: ياسمَّو الأمير!..

لص بغداد: وتجرؤ على مقاطعتي أيضاً؟ هل تعلم أنَّ المشمش الذي أحضرتَه لي البارحة كان يحتوي على ثلاث حبَّات فاسدة؟ ثم أين الموز الذي طلبته منك؟ أما آن لك أن تفهم أنَّ طلبات وليّ العهد يجب تلبيتها على الفور؟!

جحا: ياسموَّ الأمير!..

لص بغداد: وقتي لايسمح لي بالإصغاء إليك! أحسُّ أنه قد حان ميعاد التحوُّل ثانية إلى ماكنتُ عليه! إخلع عنِّي هذا السيف بسرعة!

(جحا يخلع عنه الحزام والسيف بكل احترام). السيف هدية لك تتقلّده رمزاً لخدمتك التاج السمرقندي! ياإلهي.. لقد انتهى الوقت.. آي... آخ... أوووف... آ-آ-آ! (يصرُّ بأسنانه وينهق حا-حا-حا ... حا-حا-حا...

جحا: (جحا يحجبه بجبته). لنخرج من هنا بسرعة وإلا أصابنا العمى!

(آغا بيك يغمض عينيه وهو يغادر الكوخ إثر جحا ويُشرعان بالتضرع معاً، فجأة يدوِّي زعيقٌ مقلوب) انتهت العملية!

(يقترب من الكوخ وينظر من خلال الشق. الحمار يخرج من خلف الجبة. جحا يبتعد بآغا بيك جانباً).

أوف!... تعبان. (يلتفت نصف التفاتة نحو باب الكوخ). الله يعلم كم تعبت من الانصياع لنزواته الملكية.

آغا بيك: ولكن أين وجدته؟ ومن تكون أنت نفسك؟

جحا: لاترفع صوتك... عندما يعود الأمير إلى الهيئة

الحميرية يكف عن التحدث بلسان البشر. إلا أنه يسمع ويفهم كل شيء.

آغا بيك: ومن تكون أنت؟

جحا: أنا من علماء السحر الأسود. كرَّست حياتي لحالات المسخ.

آغا بيك: من علماء السحر الأسود؟

جحا: بالضبط. أستطيع في غمضة عين مسخ الإنسان حشرة أو حيواناً. هل تريد أن أمسخك نملة؟

آغا بيك: (يبتعد عنه بخوف). لا، لا أريد أن أصبح نملة.

جحا: مارأيك في أن تصبح قملة؟ لمدة يوم واحد فقط! (يُخرِج من طيَّات زنَّاره الحرير زجاجة صغيرة) حتى إنك لن تشعر بشيء.. أغمض عينيك.. عرقوب مرقوب، ياحاضر...

آغا بيك: لا، لا! أمهلني إلى مرة أخرى.

جحا: كما تريد...

آغا بيك: قل لي، وهل مَسْخُ الناسِ حميراً ثم إعادتهم إلى حالتهم الطبيعية عمليةٌ صعبة؟

جحا: عملية تحويلك إلى حمار، أمرٌ في منتهى البساطة. ولكنَّ إعادتك إلى حالتك الطبيعية ليست بالأمر السهل. فذلك يتطلَّب عقاقيرَ خاصَّة، استغرق مني تحضيرها ثلاث سنوات.

آغا بيك: (يتفحَّص السيف). ماذا قال الأمير بخصوص تعيينك وزيراً؟

جحا: آ! (يشير بيده علامة اللااكتراث). لقد أعلن السلطان أبو مسلم أنه سيعيِّن من يخلِّص الأمير من السحر في منصب كبير الوزراء وخازنِ أموال الدولة.

آغا بيك: كبير الوزراء وخازن أموال الدولة دفعة واحدة؟

جحا: نعم... وعندما أفكِّر في هذا الموضوع أُحسّ بألمٍ في كبدي. هذا الأمير الأحمق يظن أنه يغمرني بالسعادة حين يعيِّنني في هذا المنصب... ولكنَّك رأيت بنفسك غرابة أطواره. إنه رجل سريع الغضب، مشاكس ويعشق الشجار... متصلِّب وعنيد كحمار حقيقي تماماً. آخ.. لقد عاود الألم كبدي من جديد.

آغا بيك: إذن أنت لاتريد أن تصبح كبير وزراء سمر قند؟

جحا: وما حاجتي لهذا المنصب؟ إن مهنتي هي السحر الأسود، ولا أحتاج إلاَّ إلى العزلة والأعشاب السحرية.

آغا بيك : مارأيك إذن. . . في أن تتخلَّى عن الأمير لي؟

جحا: لا أستطيع.

آغا بيك: لماذا؟ إن بحيرتي ستضمن لك العزلة وحياة الرخاء. أنت تبحث عن الأعشاب السحرية أليس كذلك؟ وهي تنمو في كل مكان من هذه البقاع. هل ترى شجرة اللبلاب تلك؟ إنها شجرة سحرية!

جحا: سحرية؟

آغا بيك: وعشبةُ راعي الحمام سحرية أيضاً. كل شيء هنا سحري. . . الأعشاب والماء وحتى الأحجار. وإذا ماأعطيتني الأمير لأسافر به إلى سلطان سمر قند أعطيتك البحيرة والبيت. . .

جحا: لا أعرف، لا أعرف. . . أنا بكل سرور. . . ولكنْ. . .

آغا بيك: مساء هذا اليوم سيأتي القاضي عبد الرحمن . . إنه ينظر في الشكاوي ويوثِّق العقود. سنذهب إليه معاً لنوثِّق عقد مبادلة البحيرة بالأمير.

جحا: معقول. (يخرج من زنَّاره وعاءً مصنوعاً من قرعة يابسة) في هذه القرعة عقار سحري تستطيع بواسطته إعادة الأمير إلى حالته الطبيعية بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام اعتباراً من منتصف ليلة هذا اليوم. ولاتنسَ أنه لفَكِّ السحر عن الممسوخ يجب رشُّه بهذا المحلول وقراءة التعويذة التالية: «ألف لام ميم! عرقوبْ مرقوبْ، ياحاضرْ ياماضي يامنسوبْ» وإذا أردتَ العكس، أي تحويلَ الإنسان إلي حمار فعليك أن تقول: «يامنسوبْ ياماضي ياحاضرْ، مرقوبْ عرقوبْ! ميمْ لامْ ألفْ». انتبه كيلا تخطئ!

آغا بيك: مفهوم.

جحا: وإذا ماظهر لك أعداء في سمر قند تستطيع التخلص منهم بسهولة . . . بتحويلهم إلى حمير.

آغا بيك: (بعدوانية) سأحوِّل كل الوزراء والمستشارين إلى حمير!

جحا: بارك الله فيك! (يقدِّم له الحزام والسيف). تقلَّدْ هذا السيف رمزاً لخدمتك التاجَ السمر قندي.

(آغا بيك يلبس الحزام ويتقلَّد السيف ثم يقترب من الحمار وينحني له بإجلال).

آغا بيك: ياسموَّ الأمير! أنا عبدك الحقير الذي لايستحقُّ أن يكنس بلحيته حتى عتبة قصر والدك السلطان العظيم. أقسم على خدمتكم بشرف وإخلاص! (يتلفَّت ثم يقترب من الحمار ويهمس في أذنه) في البداية سأهدي سموَّ الأمير جارية رائعة الجمال.. سيقدمونها لي مقابل مياه السقاية.

(وقد لاحظ اقتراب بعض الأشخاص). هل رأيتَ ياسموَّ الأمير؟.. إنهم آتون بها إليّ!

جحا: حقّاً إنني أرى مجموعة من الأشخاص، ولكنْ لا أرى بينهم نساء.

آغا بيك: أمعنِ النظر أكثر!

جحا: لا أرى إلا مجموعة من الرجال المسنّين.

آغا بيك: ها، ها.. لقد جاؤوا يتوسَّلون إليَّ كي أتخلى عن

الجارية! توسّلوا، توسلوا. . عندما أصبح وزيراً في سمر قند سأسنُّ قانوناً يخولّني أخْذَ أجرٍ عن كل توسل. إذا توسلتَ فادفعْ! إذا توسَّلتَ مرةً أخرى. . . ادفعْ من جديد! وهكذا أربِّي الشعب على عدم التوسل!

جحا: إنني أعجب من رجاحة عقلك وأفكارك النيرة ياآغا بيك!

آغا بيك: سأسنُّ مزيداً من الضرائب الجديدة. . كضريبة الدموع مثلاً! بكيتَ. . ادفعْ! بكيت مرة أخرى. . ادفعْ من جديد!

جحا: ياللحكمة! خزانةُ مولاك السلطان ستكون طافحة بالأموال! ضريبة الدموع ستستدرُّ دموعاً جديدة، والدموع الجديدة ستأتي بأموال جديدة. . . وهكذا إلى مالانهاية! ياللحكمة!

آغا بيك: (معجباً بنفسه) وأيضاً. . . ضريبةٌ على الضحك!

جحا: بهذه الضريبة لن تجمع إلا القليل! أمَّا إذا فرضت ضريبة على الشخير أثناء النوم فهذا شيء آخر! (يقلِّد

الشـخيـر) «خـر-ر-ر . . . فـيـو-و-و . . ادفعْ!
خر-ر-ر . . فيو -و-و! ادفع!

آغا بيك: (يهـزُّ رأسه فرحـاً). فكرة رائعـة . . ضـريبـة على الشـخير أثناءالنوم! ومَنْ يشـخـر هكذا . . . (يشـخـر ويصـفـر بكل مـاأوتي من قـوة) نأخـذ منه ضـريبـة مضاعفة . فما رأيك؟

جحا: ياسبحان الله! إنك خُلِقْتَ لتكون رجلَ دولة بالفعل!

(يدخل الفلاحون وينحنون احتراماً)!

محمد علي: جئنا نطلب الماء لريِّ أراضينا.

آغا بيك: لكنّي لا أرى الجارية! عـبـثـاً أتعـبـتم أنفـسكم يامحترمين!

محمد علي: (بمغزى) ابنتي ليست بضاعة للمقايضة عليها.

آغا بيك: (بدهشة) وكيف ستدفعون ثمن المياه إذن؟

محمد علي: (يقدِّم له المصوغات) بهذا!

آغا بيك: (يمعن النَّظر في المصوغات بدهشة) ومن أين لك هذا؟

محمد علي: عثرت عليها في حديقة بيتنا، تحت شجرة التفاح.

آغا بيك: لاشك أنك تمزح يامحمد علي!

محمد علي: سنِّي لاتسمح لي بذلك...

آغا بيك: شيء غريب.. ويثير الشك...

محمد علي: يقول العارفون إنها تساوي أكثر من أربعة آلاف.

آغا بيك: (يخفي المصوغات. لجحا). افتح لهم الماء.

(يدير المفتاح في القفل الذي يرفعه جحا. العجائز يديرون دولاب البوابة فيسمع صرير السلاسل وترتفع البوابة فيسمع هدير المياه في الساقية)

الجميع: الماء!

محمد علي: (يركع على ركبتيه) شكراً لك يارب على الماء الذي جعلتَ منه كل شيء حي (يبلِّل رأسه ولحيته البيضاء بالماء بسعادة).

آغا بيك: ياأهل تشوراكا! سأغادر اليوم قريتكم. هذا الشخص

هـو من سـيكـون صـاحب البـحـيـرة بعـد أن نوثِّق الصفقة بيننا!

(صـمتٌ ثقـيل. آغـا بيك يقـتـرب من الحـمـار بمـهـابة وينحني له ثم يقوده خارجاً. جحا يخرج على الفور)

العجائز: صفقة؟ ماذا يعني هذا؟ ماهو المبلغ الذي اتَّفقا عليه؟ ومن أين لهذا الحارس كل هذه النقود لشراء البحيرة؟

يرمات: قد يكون لصاً محتالاً.

العجائز: لقد تعودَّنا على آغا بيك ونعرف الثمن الذي يطلبه مقابل كل سقاية.. من يدري كم سيطلب منا هذا الجديد!!!

يرمات: سيطلب الكثير من النقود. يقال إنه يقدِّم المشمش لحماره.

اللّوحة التّاسعة

مقهى ريفيّ عند تقاطع الطرق. القاضي عبد الرحمن يتصدَّر المقهى بمهابة عظيمة وبجانبه يجلس الكاتب. أمامهما يقف جحا وآغا بيك في ملابس السفر وعلى الأرض بالقرب منه خرْجُ السفر. آغا بيك يمسك الحمار من رسنه. على ظهر الحمار غطاء من الحرير.

القاضي: أنا القاضي عبد الرحمن، إذا كان بينكم من يتَّهم البائع بالسرقة أو القتل أو أي جريمة اخرى فليتقدَّم إليَّ بشكواه!

كاتب القاضي: (صمتٌ. يظهر عدد من الفلاحين الذين تأخروا عن الاجتماع وبينهم زُلفى وسعيد).

إذا كان بينكم من يتّهم الشَّاري بأيّ جريمة فليتقدمَّ إلي بشكواه أيضاً.

يرمات: (من بين المجموعة بتردُّد). إنه يقدِّم لحماره الخبز الأبيض والمشمش.

القاضي: ماذا قلت؟

يرمات: الشاري يعلف حماره بالخبز الأبيض والمشمش . . .

القاضي: أي حمار؟ وأي مشمش؟ إنني أسأل عن جرائم القتل والسرقة!

(يرمات يعود إلى المجموعة).

والآن نبدأ في كتابة العقد. قل لي ياحضرة آغا بيك كيف تمّ الاتفاق بينكما؟ ما المبلغ الذي ستتقاضاه وفي أي موعدٍ ثمناً للبحيرة التي بعتها له؟

آغا بيك: إنه ليس عقدَ بيعٍ ياسيدي القاضي بل عقد مبادلة.

القاضي: بماذا تُبادِل البحيرة إذن؟

آغا بيك: أبادلها بطويل الذيل. طويل الأذنين هذا، ياسيِّدي القاضي.

القاضي: بماذا تفضَّلت؟

آغا بيك: قلتُ إنني أبادل البحيرة بطويل الذيل، طويل الأذنين هذا.

القاضي: بالحمار؟!

أصوات: بالحمار! . . . يبادل البحيرة بالحمار . . .

القاضي: هل أنت مريض ياآغا بيك؟

آغا بيك: أنا بكامل قوايَ العقلية والبدنية ياسيدي القاضي! أكررٍّ واؤكِّد وأُصِرُّ على أنني أبادل البحيرة بطويل الذيل، طويل الأذنين هذا.

القاضي: اصح ياآغا بيك! لو شئتَ بيعَ بحيرتك لقدَّم لك أي إنسانٍ قطيعاً كاملاً من الحمير!

آغا بيك: لستُ بحاجة لقطيع. أنا أريد طويل الأذنين هذا فقط.

القاضي: أُقسِمُ أنَّني لم أشهد في حياتي مثل هذه الصفقة الغريبة.

(آغا بيك يدسّ في يد القاضي كيساً من النقود فيُخفيه في عبِّه ويخاطب الكاتب).

اكتب: «لقد تنازلتُ عن أملاكي: البيت والحديقة والبحيرة مقابل حمار! حُرِّرتِ الوثيقة الأصلية من قبلي أنا، القاضي عبد الرحمن، طبقاً للقانون وأوامر الخان».

كاتب القاضي: (يتناول الوثيقة). آغا بيك ابصم هنا.

(آغا بيك يغمس أصبعه بالحبر ثم يبصم على الوثيقة).

وابصم أنت أيضاً هنا.

(جحا يبصم).

أشهد على إتمام العقد! (لجحا). أصبحت البحيرة ملكاً لك منذ الآن!

(لآغا بيك) وهذا الحمار ملكاً لك أنت!

(يختم الوثيقة بختم القاضي ثم ينهض ليذهب).

جحا: أرجوك ألاّ تذهب ياسيِّدي القاضي، سأحتاج إليك بعد قليل! (يدسُّ في يد القاضي كيساً من النقود فيخفيه في عبه بسرعة كما أخفى الكيس الأول). ياقهواتي.. أحضر طبقين من الرز واللَّحم لحماة القانون والعدالة!

القاضي: ياأمكر الماكرين! يبدو أنك قد عثرت على منجم للذهب في مكان قريب وتريد أن تبادل عليه بكلب أجرب.

(القهواتي يحضر للقاضي والكاتب طبقين من الأرز ورغيفين من الخبز . يهبط الستار فيبقى جحا وآغا بيك أمام الستار) .

جحا: (يُعطي لآغا بيك وعاء القرع) . إذا أردت أن تعيد الممسوخ إلى حالته الإنسانية فلا تنسَ أن ترشّه بهذا العقار، ماهي التعويذة التي ينبغي عليك أن تردِّدها؟ هل تذكرها؟

آغا بيك: ألف لامْ ميم! ياعرقوبْ يامرقوبْ، ياحاضرْ ياماضي يامنسوبْ!

جحا: صحّ . وإذا أردتَ مَسْخَ الإنسان إلى حمار؟

آغا بيك: يامنسوبْ ياماضي ياحاضرْ يامرقوبْ ياعرقوبْ! ميم لام ألف!

جحا: بالضبط! (يضرب براحة يده على جبينه) كدت أن أنسى . . . ستحتاج إلى النقود السمر قندية . بدون هذه النقود لن يسمحوا لك بعبور حدود سمر قند . . . اسمع! عندما تصل إلى قوقند اذهب إلى السوق واسأل عن دكّان الصرّاف رحيم باي . . . أعطِه المصوغات

وخُذْ منه بدلاً منهـا النقـود السـمـر قندية . ألن تنسى اسمه؟ رحيم باي!

آغا بيك: لن أنسى، لن أنسى .

جحا: والآن اذهب على بركـة الله . . . (ينحني للحـمـار) . ليسمح لنا سموُّ الأمير بأن أتمنَّى له سفراً ميموناً ورجوعاً مضموناً إلى الوطن!

(يضع على ظهر الحمار خرج السفر العائد لآغا بيك)

آغا بيك: مـاذا فـعلت؟ هل تريد إرهاق الأمـيـر؟ لقـد فـقـدت عقلك فعلاً!

(آغا بيك يحمل الخرج ويضعه على كتفيه) .

جحا: أرى أنك خُلِقت لمنصبِ كبير الوزراء حقّاً! عندما تشغل هذا المنصبَ لاتنس ضَريبـة خـر-ر-ر . . فـبـو-و-و! (آغـا بيك يهـزُّ رأسـه بمهـابة، يخـرج منحنيـاً تحت ثقل الخرج، يرافقه «الأمير»، يدخل الدرب فاعل الخير)

لص بغداد: أشكرك ياجـحـا! لقـد علَّمتني لعبةً لامثيل لها . إنهـا أمتع من لعب القمار! وأنا الآن على أحَرّ من الجمر كي ألعبها حتى النهاية .

جحا: أي لعبة؟

لص بغداد : هل نسيت الأرملة؟ لم أعد أطيق صبراً لرؤية وجه تلك المرأة وقد عثرت على مصوغاتها في صحن الحَسَاء.

جحا: سنذهب معاً إلى قوقند. يجب أن أعمل لئلا يعود آغا بيك من سمر قند أبداً. أمَّا حماري ورفيق دربي فليس عنده مايفعله في سمر قند ويجب أن يعود إليَّ! ولكنْ قبل كلِّ ذلك ينبغي إتمام لعبةٍ أخرى بدأتْ!

(يرتفع الستار عن المقهى الريفي. القاضي والكاتب مشغولان بابتلاع الطعام. جماهير الفلاحين لم تتفرق بعد. جحا يصعد إلى المنصة. الجميع يفسحون له الطريق باحترام).

محمد علي: (ينحني انحناءة كبيرة) هل يسمح مالك البحيرة المحترم باستفسار بسيط؟ عندما كانت البحيرة ملكاً لآغا بيك كنا نعرف مسبقاً أجور كل سقاية. ونحن لانعرف الأجر الجديد بعدُ ولا نعرف ماذا علينا أن نُحضِر من أجل هذا.

جحا: ستعرفون. . . (ينظر إلى تقاطع الطرق) أخبروني، لِمَنْ زهرةُ الأقحوان تلك؟ تلك التي تنمو على الجدار هناك!

فلاَّح أوَّل: إنها زهرتي. . هل تريد أن أحضِرها لك؟

جحا: لاداعي. . دعها تعيش. أردت أن أعرف فقط من هو صاحبها. . . وتلك الصفصافة لمن؟

فلاح ثانٍ: صفصافتي!

جحا: ولماذا صفصافتك؟

فلاح ثاني: لأن جذرين من جذورها يمتدَّان في أرضي!

فلاح ثالث: هكذا إذن! إنها تنحني بأغصانها فوق أرضك، أما جذورها فضاربة في أرضي أنا!

جحا: لاداعي للشجار! أردت فقط أن أعرف لمن تلك الشجرة. وقد عرفت.

أخبروني الآن، لمن ذلك العصفور؟

محمد علي: العصفور؟ إنه ليس ملكاً لأحد.

جحا: لكنه يعيش في هذه القرية ويتغذى بما يلتقط من حبوب في

الدُّور والطرقات والحقول. أَلَمْ تلاحظوا أنه يفضِّل باحة دار على غيرها؟

محمد علي: لا، لم نلاحظ. إنه يحط في جميع الدُّور!

جحا: إذن، العصفور يطير إلى جميع الدُّور ويلتقط الحَبَّ في كل مكان ويزقزق عند كل النوافذ دون أن يفضِّل أحداً على آخر؟ صحيح؟

محمد علي: صحيح!

جحا: إذن نستطيع القول إنه ملكٌ للجميع وليس ملكَ أحدٍ بعينه. أقسم بقبر الرسول الكريم أنَّ هذا العصفور هو مبتغايَ ومرامي. أسرعوا باصطياده لي!

(يندفع عدد من الفلاحين لاصطياد العصفور).

يرمات: (هامساً) داهية. داهية خطير! وعندما يحين موعد السقاية الثانية سيسرق منا حتى ملابسنا!

(سعيد يصطاد العصفور ويحضره لجحا).

جحا: ياقهواتي! أعطني قفصاً!

(القهواتي يحضر لجحا قفصاً فارغاً. جحا يضع فيه

العصفور ويقول للقاضي). والآن سنعقد صفقة أخرى!

(القاضي يجلس بوقار في مكانه. الكاتب يتناول الريشة ويستعد للتسجيل)

إنني أبادل البحيرة التي أملكها بهذا العصفور!

القاضي: البحيرة بالعصفور؟ ياربَّ العالمين!!

الكاتب: هذه القرية يسكنها المجانين! واحد يبادل البحيرة بحمار، وآخر يبادلها بعصفور!

القاضي: لكنَّ هذا العصفور ليس له مالك معين، فلمن ستعطي البحيرة؟

جحا: ليس ملكاً لأحد بالضبط، ولكنه في الوقت نفسه ملك للقرية كلها. إنه مُلكهم جميعاً (يشير إلى الفلاحين). والبحيرة ستكون ملكهم جميعاً كذلك!

القاضي: كلهم دفعة واحدة؟!

جحا: كلهم دفعة واحدة!

القاضي: (للكاتب) اكتب! . . . أشهد على إتمام الصفقة!

(لجحا). ابصم هنا! (جحا يغمس إصبعه في الحبر ويبصم).

ومن سيبصم عن الطرف الثاني؟

جحا: الجميع! إبدأ ياسعيد!

(الفلاحون يبصمون واحداً بعد آخر).

يرمات: (متردِّداً. لابدَّ أنَّ في الأمر خدعة.. وسترون (يبصم)

(القاضي والكاتب يغادران المكان. جحا يضع يد زلفى في يد سعيد).

جحا: لقد قلت إن كل شيء سيكون على مايرام. أتمنَّى لكما زواجاً سعيداً، بالرفاه والبنين! (للفلاحين) إنني أعيِّن سعيداً حارساً للبحيرة. هو الذي سيقوم منذ الآن بتوزيع الماء بالعدل دون تفضيل أحد على آخر! (يُعطي لسعيد مفتاحَ بوابة البحيرة). الجميع يريدون العيش بسعادة، أليس كذلك؟ الأمر في منتهى البساطة! انسوا كلمة «هذا مُلكي»! وقولوا: «هذا ملكنا!... أرضنا، ماؤنا، أشجارنا». هذا كل مافي الأمر!.. والآن وداعاً ياأصدقائي!

سعيد: كيف وداعاً! ألن تبقى في قريتنا؟

جحا: لا ياسعيد! يجب أن أعود إلى بيتي! إذا عادت زوجتي العزيزة من بخارى ورأت أنني لم أُصلحِ الثغرة في سياج الدار ستقول: «أمضيتَ شهراً بكامله لم تستطع إنهاء عملٍ تافه كهذا؟ . . السلام عليكم! . . .

الفلاحون: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!

(جحا ينصرف مع لص بغداد).

زلفى: (لسعيد) من يكون؟ من؟ قل لي أخيراً من يكون هذا الشخص الطيب!

سعيد: (بصوت مرتفع) هناك شخص واحد في هذا العالم ينطوي صدره الخيِّرُ على النور والدفء اللذين يدفئان وينيران الطريق للجميع! اعلموا أنّ الشخص الذي كان في قريتنا هو جحا نصر الدين ذاته!

(زلفى تفغر فمها من الدهشة فيما يتهامس الفلاحون «جحا نصر الدين!!»).

اللّوحة العاشرة

دكان الصراف رحيم باي في سوق قوقند. يقترب آغا بيك وهو يجر الحمار من رسنه ثم يضع الخرج الثقيل عن كتفيه. جحا ولص بغداد يختبئان ويراقبان عن كثب.

آغا بيك: (يتنفس الصعداء). السلام عليك أيها الصراف! قل لي هل أنت رحيم باي؟

رحيم باي: نعم.

آغا بيك: سمعت أنك من أشرف التجار وأكثرهم نزاهة.

رحيم باي: الحمد لله على نعمة النزاهة التي غمرنا بها العلي القدير.

آغا بيك: (يهز رأسه موافقاً). السمعة الطيبة أغلى من كل كنوز العالم.

رحيم باي: وأغلى من كل ذلك الاستفتاح بشخص محترم وعاقل مثلك.

آغا بيك: هل بإمكاني تبديلُ المصوغات بنقود سمر قندية من عندك؟

رحيم باي: (ببؤس). دون فحص أوّلي للمصوغات من قبل السلطات المختصة؟

آغا بيك : أظن أننا رجلان محترمان عاقلان نزيهان . .

رحيم باي: وشريفان.

آغا بيك: والأهم من كل ذلك . . حريصان . . .

(يضحكان معاً وقد فهم كلٌّ منهما الآخر. وبينما يتناول آغا بيك المصوغات من الخرج يقترب لص بغداد من الحمار بهدوء فيفكّ لجامه ويضعه في رقبته. جحا يطلق صفيراً خفيفاً فيركض الحمار نحوه ثم يختفيان. بينما آغا بيك يفكّ صُرَّة المصوغات ونظرات رحيم باي الجشعة تلاحقها، يقع بصر آغا بيك فجأة على لص بغداد مكان الحمار فيصاب بالدهشة ثم يثوب إلى رشده ويركع أمام لص بغداد) يا للمعجزة العظيمة! استعاد سموّ الأمير هيئته الملكية! الحمد لله القادر على كل شيء!

لص بغداد: خلِّصني سريعاً من هذه الأداة التي لاتناسب مقامي!

(آغا بيك يبدأ بخلع اللجام عن لص بغداد بيدين مرتجفتين. رحيم باي يفغر فمه من الدهشة).

آغا بيك: ليستلم سموُّ الأمير سيفه من يد عبده الحقير! (يخرج السيف الملفوف بخرقة من الخرج).

رحيم باي: (يهجم على لص بغداد). أمسكوه.. أمسكوه!..

آغا بيك: (يمسك برحيم باي). توقَّف أيها الحقير!

(لص بغداد يلوذ بالفرار).

رحيم باي: أمسكوه! إنه حرامي... لقد سرق مصوغاتي!...

آغا بيك: توقفْ أيها الحقير! آهٍ لو تعلم...

رحيم باي: اتركني!.. أمسكوه... أمسكوه!

(يُسْمَعُ قرع الطبل ثم يدخل كميل بيك يرافقه الحرس والكتبة ويبعد رحيم باي عن آغا بيك).

آغا بيك: ياللسافل . . . هذا المجرم تجرأ على إهانة سمو أمير سمرقند!

رحيم باي: أي أمير! . . . إنه لص . لص سرق مصوغات زوجتي! وأنت . . أنت شريكه!

(يخطف صرة المصوغات من يد آغا بيك).

آغا بيك: هات الصرة أيها المحتال!

رحيم باي: لص حقير!

آغا بيك: يامدنّس المساجد وأضرحة الأولياء! أهكذا تكون النزاهة والشرف في رأيك!

رحيم باي: اخرس ياابن اللئيمة!

(يشتبكان من جديد فيفرقهما الحراس ويأخذون المصوغات ويعطونها كميل بيك) أقسم أنَّ هذه المصوغات هي التي سرقها من عند زوجتي لص اختبأ في الصندوق.

كميل بيك: (مهدداً. لآغا بيك) من أين حصلت على هذه المصوغات؟

آغا بيك: عثر عليها فلاح عجوز تحت شجرة تفاح.

رحيم باي: كذَّاب ابنُ كذَّاب وحفيدُ أحفادٍ كذَّابين! . .

كميل بيك: ياحضرة رحيم باي أرجو أن تطوي سجَّادة غضبك وتضعها في صندوق الصبر!

(لآغا بيك) تابع!

آغا بيك: القصة ومافيها أنني كنت أملك بحيرة في الجبال. بادلتها بحمار!

كميل بيك : (للكَتَبَة) سجِّلوا . . بادل البحيرة بحمار!

آغا بيك: ولكنِّي قبل ذلك تلقَّيت هذه المصوغات مقابل إعطاء الفلاحين جزءاً من مياه البحيرة لسقاية حقولهم. . وعندما بادلت بحيرتي بسموِّ أمير سمر قند . .

كميل بيك: أي أميـــر؟! سبق لك أن قلت إنك بادلت البحيرة بحمار!

آغا بيك: صحيح! ولكنَّ الحمار تحوَّل إلى أميرٍ وليٍّ للعهد وتحوَّل الأمير مرةً ثانية إلى حمار . . .

كميل بيك: ماذا؟ وتجرؤ بكل وقاحة وأمام الجميع على مقارنة شخصية ملكية ببهيمة تافهة من ذوات الأربع؟

آغا بيك: صحيح، صحيح، طويل الأذنين ويغطِّيه الشعر . . .

كميل بيك: أجب . . . من تكون ياهذا؟!

آغا بيك: أنا كبير وزراء سمر قند!

كميل بيك: (للكتبة) سجّلوا: كبير وزراء سمر قند!

آغا بيك: وعندما أردت أن أعيد هذا السيف إلى سموِّ الأمير . . . (يفتح قطعة القماش فيظهر السيف).

كميل بيك: (يقفز من الدهشة عندما يرى سيفه) من أين أتيت بهذا السيف؟!

آغا بيك: إنه سيف الأمير!

كميل بيك: كذّاب! هذا سيفي! (مستدركاً) أعني . . أريد أن أقول، إنني سأحتفظ به ريثما يظهر صاحبه الحقيقي. إذن أنت تؤكد أن هذا السيف . . . هذا السيف بالذات هو سيف أمير سمر قند؟

آغا بيك: نعم، أوكد وأصِرُّ.

كميل بيك: (يأخذ السيف ويجلس). بعد أن وضعنا في إحدى كفّتي ميزان العدالة حجر الحقيقة الأبيض وفي الكفة

الأخرى كيس الكذب الأسود، وبعد الوزن والتحقيق والتمحيص والتدقيق وصلنا إلى القرار التالي: إعادة المصوغات لمالكها الشرعي. (يشير برأسه إلى رحيم باي). أمّا السيف فسأحتفظ به عندي. وفيما يخص كيس الخداع والكذب هذا (يشير برأسه إلى آغا بيك) فنأمر بجلده مئة جلدة عقاباً له!

(جحا يصعد إلى المنصة).

آغا بيك: (يرى جحا). هاهو! هاهو الساحر والعالم الضليع في السحر الأسود الرفيع الذي يستطيع تأكيد أقوالي.

كميل بيك: ساحر وعالم في السحر الأسود؟ (للكتبة) سجّلوا! والآن سنسمع مايقوله الساحر العالم الضليع في السحر الأسود الرفيع!

(يظهر لص بغداد والأرملة بين المتفرجين).

جحا: ياحضرة قائد الحرس المحترم! صحيح أنني ساحر وعالم في السحر الأسود كصحّة مبادلته البحيرةَ بحمار، وتحوّلِ الحمار إلى أمير!

آغا بيك: (بانتظار) هل سمعتم؟! لقد أكّد صحّة قولي!

جحا: أريد أن أقول إنَّ عقاب هذا الرجل بالجلد باطل!

آغا بيك: هل سمعتم؟! باطل!

جحا : أعتقد أنَّ من الأفضل إرسال كبير الوزراء السمر قندي إلى سمر قند بعد تقديم واجبات الاحترام له على الطريقة المتَّبعة في بلاط سلطان سمر قند، وذلك بإركابه على الحمار بالمقلوب.

آغا بيك : نعم هذه هي الأصول المتَّبعة في سمر قند!

كميل بيك: يا للرأي السديد! أرسلوه إلى سمر قند حسب الأصول المتَّبعة هناك!

جحا: وأريد أن أضيف هنا أنَّ المالك الحقيقي للمصوغات هو هذه المرأة!

(بإشارة منه تصعد المرأة إلى المنصة).

آغا بيك، ورحيم بيك: (معاً) لحظة إذا سمحت...

جحا: عندي شاهد على ذلك!

(بإشارة منه يصعد لص بغداد إلى المنصَّة)

رحيم باي: (يولول) هذا هو اللص!

آغا بيك: (ينحني انحناءة كبيرة) هذا هو سموُّ الامير!

(كميل بيك يتململ في مكانه عندما يتعرَّف على لص بغداد).

لص بغداد: أشهد على أنه كان في أحد المنازل صندوق . . .

رحيم باي: هذا في منزلي أنا!

لص بغداد: (ينظر في عيني كميل بيك) ولسبب يعرفه قائد الحرس المحترم تلاقى في ذلك الصندوق رجلان . . .

كميل بيك: (للكتبة). لاداعي . . لاداعي للتسجيل!

لص بغداد: أحد هذين الرجلين ماتزال تهدّده حتى الآن عقوبة بقطع رأسه، حسب أوامر الخان. ويُدعى هذا الرجل . . .

كميل بيك: (يقاطعه) أرى أنك شاهد عدل واثق ممَّا تقول.

جحا: ياحضرة قائد الحرس، ماتزال لديَّ إثباتات أخرى لو شئت!

كميل بيك: لاداعي لإثباتات جديدة. ماسمعناه يكفي ويزيد. أيها الكتبة! اشطبوا كلَّ ماسجَّلتم، بل ومزِّقوا تلك الصفحات وابدأوا بصفحة جديدة سجِّلوا: بناءً على الأدلة والإثباتات العديدة الدامغة التي لاتقبل دفعاً ولانقضاً، قرَّرنا أنَّ المصوغات هي ملك الأرملة . . .

جحا: (يُملي عليه) سعادات!

كميل بيك: ملك الأرملة سعادات. وإحقاقاً للحق تعاد إليها المصوغات حالاً.

(يعيد المصوغات للأرملة).

رحيم باي: كيف... تعاد؟! المصوغات ملكي وليست ملك الأرملة! أنت نفسك حكمتَ لي بها عندما رهنتها عندي! أنت نفسك..

كميل بيك: لاأذكر.. لاأذكر أيَّ شيء... لا أذكر...

(يُعطي إشارة للحراس بالقبض على آغا بيك).

آغا بيك: اتركوني أيها البهائم! ارفعوا أيديكم عنّي وإلاّ حولّتكم إلى حمير!

(جحا ولص بغداد والأرملة يغادرون المكان. الحراس يقبضون على آغا بيك).

يامنسوب ياماضي ياحاضرْ، مرقوبْ عرقوبْ، ميمْ لامْ ألفْ. (يرشُّ العقار السحري على الحراس دون نتيجة. الحراس يوثقونه)

يامنسوبْ ياماضي ياحاضرْ، مرقوبْ عرقوب، ميمْ لامْ ألف!

(تُسمَع أغنية جحا من مكانٍ قريب)

نيرانٌ تُضْرَمُ من أجلي

وتُقامُ خوازيقْ

والسُّمُّ يُحضَّر من أجلي

أنا ذا الإنسان . . .

(الجميع يقفزون إلى المنصَّة لرؤية الشخص الذي يغني) .

لكنِّي أقهرُ موتي

وأغنِّي

أنا ذا

أنا ذا

أنا ذا الإنسان

(كميل بيك ورحيم باي وآغا بيك والحراس والكتبة يلتفتون الى المتفرجين ، فنرى فوق أكتافهم رؤس حمير) .

النهاية

موسكو

١٠/١/١٩٨٣

الآثــــم المـــــرح

كوميديا في فصلين

المقدمة

جحا وحماره نائمان أمام الستار. تترامى من بعيد أصوات المؤذنين. يستيقظ جحا وينهض واقفاً.

جحا: هاهي مدينة بخارى. لقد وصلنا إلى البيت! (يلقي نظرة حالمة إلى البعيد). كم مضى من السنين منذ غادرنا الوطن! . . (يشير للحمار). انظر، بين أشجار الصفصاف تلك كان البيت الذي وُلدت وترعرعت فيه ... وهناك، هل ترى تلك المئذنة؟ تحتهاتقع المدرسة التي تلقيت فيها من العصيّ خلال سنتين مالم تتلقَّه أنت في حياتك كلها ... وهناك تقع المقبرة التي يرقد فيها أجدادي رقدتهم الأبدية ... وبالقرب منها المسلخ الذي سُلخت فيه جلود أجدادك ... وهناك، قصر الأمير! إنه مكان لا نستطيع دخوله أبداً. بيني وبينك، بالناقص! المقهى ... آه، لو كان معنا بعض النقود ... بالمناسبة ليس في الدنيا مقهى لم أحصل فيه أنا على إبريق من الشاي الثقيل، وأنت على حزمة من

البرسيم. هيَّا بنا يا أشهب. (يغطي ظهر الحمار ببساط يضع الخرج فوقه ثم يشد وثاقه وهو يغنّي):

العشبُ يرفرف كُرْمَى لي

والنَّرجسُ يُزْهر من أجلي

والدرب يزغرد حبّاً بي

فأنا الإنسانْ.

وندى الفجرِ يرحِّب بي

وتَطُنُّ النحلة كُرْمَى لي

وتهلِّلُ لي العرباتُ

أنا الإنسانْ.

الجدولُ يُنْشِدُ حبّاً بي

والشمس تشعشع كُرْمَى لي

والناقة تمضغ من أجلي

فأنا الإنسانْ.

(يخرج وهو يجر حماره خلفه)

الفصل الأول
اللوحة الأولى

في المقْهى. في الجهة المقابلة جدارطيني عتيق وباب خشبي يؤدي إلى ساحة الدار في بيت نيازي. على سطح البيت تُجففَّ الأواني الفخارية تحت أشعة الشمس. في المقهى يجلس القهواتي علي والحداد يوسف وقد تدلَّى ملقطه على خصره، والسرَّاج محمد في معطفه المهترىء المليء بالرقع وقد كوَّنوا دائرة صغيرة.

علي: يقال إنهم رأوه منذ شهرين تقريباً في تركيا. . في مدينة آمدشهر.

محمد: هس... لا ترفع صوتك...

(يتلفت الحرفيون خائفين. يدخل جحا ويربط حماره ثم يجلس بعيداً عن الحرفيين).

جحا: يا قهواتي! هات لي إبريقاً من الشاي الصيني الثقيل ولحماري برسيماً!

(علي يقدم له الشاي ويلقي للحمار بحزمة من البرسيم. ويتأكد الحرَفيون من أن الداخل الجديد لا ينصت لحديثهم فيتابعون الكلام بصوت منخفض).

علي: والبارحة قال لي الفحام رحيم ميرشايد إن النحَّاس الأُسطة محمد جان قال له ما حدَّثه به دليل إحدى القوافل من مزاعم بعضهم بأنهم شاهدوه في مدينة سمرقند قبل أسبوعين ...

محمد : هس ... لا ترفع صوتك.

يوسف: مالك تردِّد هسْ... هسْ يا صديقي محمد! لقد أصبحتَ جباناً كالأرنب!

محمد: لو ذقت كرباج الأمير كما فعلتُ أنا، لخفَّفت أنت أيضاً من شجاعتك.

يوسف: لقد ذقتُ كرباج الأمير مرتين.

علي: شاهدوه في سمر قند وهو يغادرها عبر بوابة بخارى.

محمد: ألا يمكن أن يكون قد توجه إلى هنا ... إلى بخارى؟

عليَ: هذا لا يعرفه أحد. إنه يظهر حيث يشاء. ويختفي متى يشاء. جُحانا العزيز في كل مكان وليس في أي مكان.

يوسف: وهو يدافع عن البسطاء حيثما كان.

علي: يقال إنه هو نفسه من أصلٍ بسيط متواضع. ابن قهواتي.

يوسف: جُحا ابن قهواتي؟ إنه من جماعتنا نحن... ابن حدَّاد.

علي: لكني واثق أنه ابن قهواتي.

يوسف: وأنا أقول لك إنه من الحدَّادين! من مواليد قيراط.

علي: من مواليد قيراط؟ جحا من مواليد قيراط! الجميع يعرفون أنه وُلِدَ هنا في بخارى وفي عائلة قهواتي.

يوسف: (يرفع صوته بحنق) جحا ولد في قيراط!

علي: بل في بخارى!

محمد: (وقد استولى عليه الرعب)... لا ترفعا صوتيكما... لا تصرخا بهذا الشكل.

(يقترب منهما) كلاكما مخطِىء. جحا في الواقع ولد في مدينة خوجنت وفي عائلة سرَّاج.

علي ويوسف: سرَّاج؟ (يستلقيان من شدةِ الضحك). سرَّاج!.. جحا نصر الدين ولد في عائلة سراج!!..

محمد: لا أجد هذا ما يدعو للضحك.

يوسف: فكّر قليلاً يا محمد ... لو كان يجري في عروق جحا دم سرّاج، فمن أين له كل هذه الشجاعة؟ (لعلي) الشجاعة كانت من خصال الحدّادين على الدوام.

علي: أنت نسيت يا يوسف أنه يتمتع إلى جانب ذلك بالذكاء الخارق وسَعة الحيلة. وفضلاً عن ذلك فهو مستعد دائماً لتقديم الطعام والشراب لكل إنسان فقير. وكل هذه الشمائل من صفات القهواتية.

يوسف: عدنا من جديد! كم مرة ينبغي عليَّ أن أكرِّر لك أن جحا نصر الدين ابن حداد، حفيد حداد وأجدادُ أجدادِه من الحدادين؟!.

محمد: هس..

(يدخل السقّاء)

الحرفيون معاً: سعيد! تعال إلى هنا يا سعيد... حُلَّ لنا هذا الخلاف...

علي: أنا أقول لهما إن جحا نصر الدين ولد في عائلة قهواتي...

يوسف: حداد!..

محمد: سراج!..

السقَّا: أعوذ بالله! الجميع يعرفون أن جحا نصر الدين قد ولد في مدينة شهر ديابزة في عائلة سقَّاء بسيط!

الحرفيون: سقَّا؟ (يستلقون من شدة الضحك). سقَّا؟!

جحا: (يقترب من الحرفيين). ما لكم تختلفون يا جماعة الخير؟

السقا: عجيب.. هؤلاء الناس يضحكون عليَّ لأني ...

محمد: (ينظر إلى جحا بخوف) هس ...

السقا: لأني قلت لهم إن جحا ابنُ سقَّا بسيط!

علي: إحْمْ.. إحْمْ.. (يسعل). يبدو أن أذني اليسرى ثقيلة السمع ... هل سمعت أنت أيها الغريب فيمَ يتجادل هؤلاء السادة؟

جحا: لا، لم أسمع ... (يخفض صوته). وهل ما زال ذكر اسمه ممنوعاً في بخارى؟

يوسف: خمسون جلدة!

علي: (يتلفَّت حوله ثم يهمس). أمرٌ واحدٌ لا يدخل في عقلي.. منذ خمس سنوات نادى المنادون بأن السلطان التركي قطع رأسه ...

جحا: وأنا أيضاً سمعت بذلك .

علي: ثم سمعنا بعدئذٍ أن خليفة بغداد شنقه ...

جحا: عجيب! وكيف شنقه خليفة بغداد وهو دون رأس؟

علي: بعد ذلك أعلن حاكم حيفا أنه سلخ جلده وهو حي ثم أحرقه بالنار ...

جحا: سلخوا جلده أيضاً! وأحرقوه!

علي: لهذا أتعجَّب كيف استطاع جحانا أن يبقى على قيد الحياة بعد كل هذا ... إحْمْ... أحْمْ! يبدو أنني أخطأت القول ... هل سمعت شيئاً يا عابر السبيل؟

جحا: لا ، لم أسمع شيئاً .

محمد: هس ...

(يدخل المرابي جعفر وهو أحدب وأعرج وأعور) .

جعفر: يا قهواتي . خذْ فاشوِ لي لحم الضأن هذا . لقد حصلت عليه من اللحَّام مقابل فائدة الدَّين الذي لي في ذمَّته . (يناوله اللحم ويعرج إلى باب الخزَّاف ويطرق الباب فيفتح له نيازي) حان ميعاد وفاء الدين أيها الخزَّاف . (نيازي يطرق بصمت) . أنت مدين لي بمئة دينار

والفائدة المترتبة عليها بلغت ثلاثمئة دينار. المجموع أربعمئة دينار.

نيازي: لا أملك نقوداً...

جعفر: شيء لا يثير العجب أن لا تملك نقوداً. ولكن اليوم هو موعد انعقاد محكمة سمو الأمير.

(تظهر غولجان أمام الباب وقد غطّت وجهها بالخِمار).

اكشفي عن وجهك أيتها الجميلة! اليوم ستصبحين مُلكي. وإذا ما كنت لطيفة طيِّعة معي فسأقدم لوالدك عملاً سهلاً وطعاماً جيداً. أما إذا كنت عنيدة فأقسم أن أطعمه الفول اليابس وأجبره على نقل الأحجار على ظهره! كوني عاقلة واكشفي لي عن وجهك الصبوح يا غولجان. (يمدّ أصابعه المخلبية ليرفع الخِمار... غولجان تدفعه فيقع على الأرض).

علي: ضاع الخزّاف... ضاع المسكين!..

جعفر: (ينهض غاضباً ثم يدفع غولجان ويقفل الباب بقفل ضخم جاء به. لنيازي) ستذهب الآن معي إلى محكمة الأمير. بعد ذلك يصبح بيتك من أملاكي وتغدو أنت عبداً من عبيدي، أما ابنتك فتصبح أَمَةً وجارية لي! (يعود إلى المقهى).

نيازي: (يندفع خلفه) جعفر آغا، أمهلْني بعض الوقت. سأصنع ألفين من الأواني الفخارية وأبيعها و ... أنا لا أطلب منك سوى المُهْلة!

جعفر: قلبي طيب ورقيق أيها الخزّاف. لكن أحكم بنفسك. ما الفائدة التي يمكن أن أجنيها من طيبة القلب؟ (يبدأ بتناول الشواء).

(نيازي يبتعد عنه ويتجه إلى ابنته غولجان ويجمدان في وضعية حزينة. يُخْرِج السقّا من عبِّه رغيفاً من الخبز يسخِّنه فوق المِشواة ويبدأ بالتهامه. جعفر يمسك بتلابيب السقّا).

لحظة، أيها المحترم! ادفع النقود أوّلاً ثم كُلْ بعد ذلك بالهناء والشفاء.

السقا: أي نقود؟

جعفر: لقد سخَّنت رغيفك فوق شِوائي فلان الرغيف وتشبَّع بالنكهة فادفع الثمن (يهزُّه من تلابيبه).

السقا: يا اللّه، لكني سخّنته على الدُّخان!

جعفر: ما دام الشواء مُلكي، فالدخان الذي يتصاعد منه هو أيضاً مُلكي! اِدفع!

السقا: لكني..

جحا: (يقاطعه) عيْب! لا يجوز أبداً أن تستغل دُخَان الآخرين بالمجَّان!

جعفر: هل سمعتَ أيها الصعلوك ما قاله لك هذا الرجل المحترم؟

جحا: هل عندك نقود؟

(السقَّا يُخرِج من جيبه حفنةً من القِطع المعدنية ويعطيها لجحا. جعفر يمدُّ يده).

انتظر يا سيدي! اِقترب أوَّلاً بأذنك منِّي! (يخضُّ النَقود قرب أذن جعفَر) هل تسمع؟

جعفر: أسمع!

جحا: (يعيد النقود إلى السقَّا) مع السلامة.

جعفر: كيف؟ ولكني لم أتقاضَ منه الثمن!

جحا: لقد دفعه بالكامل. فهو شمَّ رائحة شوائك، وأنت سمعت رنين نقوده.

جعفر: (مهدِّداً) يبدو أنك غريب عن هذه المدينة، وأنا... (يسمع صوت البوق)

علي: ستبدأ محكمة الأمير.

جعفر: ... كان بودي أن ألقِّنك درساً يعلمك كيف يجب أن تتصرف في بخارى، ولكني الآن مستعجل! اتبعني أيها الخزّاف إلى المحكمة!

(جعفر ونيازي ينصرفان)

جحا: (يغنّي)

المنشدُ يُنشِد من أجلي

والطبلُ يدوِّي كرْمَى لي

وفؤادي يخفقُ حبّاً بي

فأنا الإنسانْ.

(ينظر إلى غولجان الجالسة دون حركة عند النافورة. وفجأة يصرخ وهو يشير إلى الماء)

- يا إلهي، ما هذا الذي هناك؟

غولجان: (تكشف الخمار قليلاً وتنظر بخوف إلى الماء) ماذا؟ ماذا رأيتَ هناك؟

جحا: إني أرى هناك طيراً لا نظير لجماله في العالم.

غولجان: أيُّ طير؟ هذه ضفدعة!

جحا: لو كان لكل الضفادع مثل هذه العيون وهذه

الحواجب، لما رفضتُ أن أتحوّل إلى ضفدعة ... إني أرى في الماء وجه حسناء فائقة الجمال!

غولجان: (تُسدل الخمار بسرعة) ألا يخجلك أن تسخر من مصيبتي؟

جحا: عمري لم أسخر من مصائب الآخرين! حدث أحياناً أن سخرتُ من مصيبتي، ولكنْ ليس من مصائب الآخرين، أبداً. أقسم أن المرابي لن يلمس جدائل شعرك. هذه حقيقة ... كحقيقة أن اسمي. هِمْ. هِمْ. ما هو اسمي؟ وهل تدينون له بمبلغ كبير؟.

غولجان: أربعمئة دينار. ولم يبقَ عندنا الآن سوى هذين الدينارين ... (تُريه قطعتين نقديتين)

جحا: ديناران! ثروةٌ كاملة! اسمعي أيتها الحسناء، إذا كان جعفر مرابياً فلماذا لا تكونين أنت أيضاً كذلك، وتربحين أربعمئة دينار في نصف ساعة فقط؟ أقرضيني هذين الدينارين الآن، وأنا أردُّهما لكِ بعد نصف ساعة ومعهما ثلاثمئة وثمانية وتسعونَ ديناراً فائدتُهما.

(غولجان لا تجيب)

لماذا لا تجيبين؟ هل الفائدة قليلة؟ إذن إليك قلبي أيضاً ضمن فاتورة الفائدة ...

غوجان: (بغضب) أحقاً أنه لا يُخجلك أن تسخر من مصيبتي أيها الغريب؟ يارب. وهل يُعقَل أن يكون الناس كلُّهم قساةً عديمي الرحمة؟

جحا: أنا أسخر؟ معاذَ الله. . إنني أُريد مساعدتك!

غوجان: دعْني في حالي أيها الشرّير... الغليظ الفؤاد! أرجو أن تبتعد وتتركني.

جحا: لن أذهب قبل أن تقرضيني الدينارين.

غوجان: مفهوم... تريد أن تبتزَّ منِّي النقود! إليك آخرَ ما نملك وانصرفْ من هنا.

(تُلقي إليه بالنقود على الأرض).

جحا: (يلتقطها) والآن تذكَّري، أنني بعد نصف ساعة سأردُّ لك هذين الدينارين وأضيف عليها ثلاثمئة وثمانية وتسعين ديناراً فائدة. . وقلبي كذلك، كما اتفقنا.

(يسوق الحمار إلى المقهى فينيخه في صدر المكان ثم يرمي بدينار في كل أذن من أذني الحمار).

(يدخل الحرفيون يرون الحمار في صدر المقهى فيتراجعون إلى الخلف).

علي: أين أَنَخْتَ حمارك أيها الغريب؟

جحا: أَنختُه حيث ينبغي. اعطني إبريقاً آخر من الشاي الصيني.

علي: لكنك لم تدفع بعدُ ثمن الإبريق الأوَّل. وكذلك ثمن حزمة البرسيم التي قدمتها لحمارك.

جحا: (يضع كتاباً مفتوحاً أمام الحمار بكل رزانة). لقد طلبت شاياً.. هل سمعت يا قهواتي؟

علي: ادفع لي ربُع دينارٍ أوَّلاً.

جحا: حسناً يا عزيزي.. (للحمار) ادفع له يا أشهب. (لعلي) خُذْ منه النقود.

علي: ممَّن آخذ؟

جحا: من حماري.

علي: خذ حمارك وانصرف من هنا أيها المحتال. هل تسمع، اِنقلع من هنا أيها النصَّاب!

جحا: لا تستعجل بالصراخ يا رجل! افعل ما قلته لك

وخذ حقك! (للحمار) هل نَمَتِ النقود في أذنيك يا أشهب؟ (لعليّ) كلَّ يوم ينمو فَي أذنيه ديناران. خذ من أذنه اليسرى.

علي: نقود تنمو في أذني حمار؟!

جحا: نعم. خذ حقك وأعِدْ له الباقي.

(علي يتبادل النظرات مع الحرفيين ثم يدس أصابعه في أذن الحمار ويُخرِج ديناراً. الحرفيون يجمدون من الدهشة).

يوسف: (لعليّ هامساً). إذَنْ هذا صحيح...

(الحمار يضرب بحافره على الأرض).

جحا: انتهيتَ يا أشهب؟ (يقلب صفحة من الكتاب). إنك تتقدم بسرعة.

علي: لماذا وضعتَ الكتاب أمامه أيها الغريب؟

جحا: أنا أُعلِّمه القراءة.

الحرفيون: القراءة؟

(الحمار يضرب بحافره من جديد).

جحا: حسناً يا أشهب! (يقلب صفحة). حسناً جداً. (للحرفيين). لقد وهبه الله عقلاً راجحاً، وذاكرةً

رائعــة ولكنه حـرمــه من الأصــابع. ولهــذا أُضطَرُّ لمساعدته في تقليب الصفحات.

يوسف: من أين لك هذا الحمار الفريد؟

جحا: لقد استدعاني الأمير يوماً وسألني: «هل تستطيع تعليم القراءة لحماري الذي تنمو النقود في أذنيه؟» وما إن سمعتُ بالنقود حتى أجبتُه دون تفكير: «طبعاً أستطيع. ولكن احتاج لعشرين سنةٍ كي أُنجز هذه المهمة». وعندئذ سلَّمني الأميرُ الحمارَ وقال: «إذا لم يتعلم هذا الحمار النفيس القراءة بعد عشرين سنة فسأقطع رأسك».

محمد: إذَنْ، لا شك في أنك ستفقد رأسك، إذْ متى كان للحمير أن تتعلم القراءة؟

جحا: العالم مليء بأمثال هؤلاء الحمير. وكُنْ مطمئناً بخصوص سلامة رأسي... إذْ في مدة عشرين سنة إما أن يموت الأمير، أو أموت أنا، أو يموت الحمار.

يوسف: حقاً! إنك رجل مدهش!

علي: وحمارك أشدُّ إدهاشاً! (يضع الباقي في أذُنِ الحمار).

جحا: نعم، إنه حمار جيِّد، ولكنِّي مضطَّر لبيعه اليوم.

الحرفيون: تبيع مثل هذا الحمار؟

جحا: أنا محتاج للنقود. من يشتريه بأربعمئة دينار؟

علي: اسمع أيها الغريب. أنت تعرف أنه ما من أحد فينا يملك مثل هذا المبلغ. ثم كيف يمكن بيعُ أذكى حمار في العالم؟

محمد: نعم. كيف يمكن بيع حمار تنمو النقود في أذنيه؟

السقا: حمار كالدُّرَّة المتفتِّحة!.. كأنه الألماسة بين باقي الحمير ويعرَض للبيع؟!

جحا: لا تُقلقوا بالَكم. لقد سبق وبعتُه ستاً وثلاثين مرَّة وكلَّ مرة كان يعود لي. وحتى لو هربتُ منه إلى القمر فلن يتركني لحالي وسيظل يبحث عني حتى يجدني!

(يدخل المرابي جعفر والخزَّاف نيازي).

غولجان: أَبَتي، ماهي النتيجة؟ بماذا حكم سموُّ الأمير؟

جعفر: كان الحكم في صالحي أيتها الحسناء.

غولجان: حتى سمو الأمير لم يعطِنا مهلة؟

جعفر: أميرنا المبجَّل، سيِّدنا وراعي أمورنا، أحاطكم برحمته العظيمة، ووهبكم مهلة لوفاء الدين ... وهبكم ساعة كاملة.

غوجان: ساعة واحدة؟ مهلة ساعة فقط؟!

نيازي: نعم ياغوجان ... ساعة واحدة فقط.

جعفر: والآن بقي منها خمسون دقيقة. (ينزع القفل عن الباب). تستطيعان البقاء في بيتكم والاستمتاع بالحديقة وعريشة العنب مدة خمسين دقيقة بالتمام والكمال. وبعد ذلك ينتقل كل شيء هنا إلى مُلكيَّتي... بما فيه أنتما. (نيازي وغوجان يَدْخُلان البيت). لماذا هذه الفوضى عندك يا قهواتي؟ لماذا يتصدر الحمار المقهى؟

جحا: لكي يستطيع الشارون رؤيته بشكل أفضل.

جعفر: إذَنْ، هو معروض للبيع؟

جحا: ليس في الدنيا حمار لايباع.

جعفر: وكم تطلب فيه.

جحا: أربعمئة دينار.

جعفر: (يقفز من الدهشة) كم؟

جحا: أربعمئة.

جعفر: أربعمئة؟! إنه مع الأحشاء والجلد لا يساوي حتى عشرين ديناراً!

جحا: إنك نسيتَ أذنيه أيها المحترم .

علي: هذا الحمار تنمو النقود في أذنيه .

يوسف: دينار في كل أذنٍ يومياً .

جعفر: نقود تنمو في أذنَيِ الحمار؟ لا بد أنكم جُنِنْتُم!

جحا: انظر وتأكد بنفسك .

جعفر: (يدسّ يده في أذن الحمار) . نقود تنمو في الآذان! يا للكذب! (يُخرِج قطعة نقدية من أذن الحمار وينظر تارة إلى الحمار وتارة أخرى إلى جحا بدهشة) . نقودٌ حقاً!!

جحا: والآن انظر في الأذن الأخرى .

علي: مِنْ هذه الأذن أخذتُ ربع دينار وأعدتُ الباقي .

جعفر: (يُخرِج القطع المعدنية من الأذن الثانية) نقود!

جحا: نقود، نقود .

جعفر: كلَّ يوم؟

جحا: كل يوم، دينار في كل أذن .

جعفر: (بريبة) ولماذا تعرضه للبيع إذن؟

جحا: أحتاج لاربعمئة دينار على وجه السرعة . اشترِه ...

وبعد مئتي يوم يعوِّض لك ما دفعتَه ويبدأ في إعطائك دخلاً صافياً.

جعفر: (متردِّداً) أشتريه بثلاثمئة.

جحا: سآخذه إلى السوق إذَنْ. (يشدُّ الحمار من رسنه).

جعفر: (انتظر، انتظر! سأعطيك ثلاثمئة وخمسين...

(جحا يشد الحمار خلفه ولا يجيب)

قلت لك انتظر! ثلاثمئة وخمسة وسبعون... ثلاثمئة وتسعون!.. تنازل لي حتى لو عن عشرة دنانير...

(جحا يجرُّ الحمار ولا يجيب).

(يتنفَّس بصعوبة). انتظر! إنني موافق، موافق! (يعطي النقود لجحا). دائماً أتحمَّل الخسارة بسبب طيبة قلبي. ولكنْ ليس عندي وقت أضيعه معك.. أنا مستعجل.

جحا: وأنا أيضاً مستعجل.

جعفر: إلى أين؟ —

جحا: إلى نفس المكان الذي تستعْجل إليه أنت.

جعفر: إنك سليط اللسان. خليقٌ بأمثالك أن يرتجف عند

الحديث مع أمثالي. أنا رجل غني وليس من عائق أمام تحقيق رغباتي. لقد اشتهيتُ أجمل فتاة في بخارى، واليوم ستصبح لي. (يشد الحمار من رسنه ويقترب هو وجحا من بيت نيازي ويطرق عليه الباب. يظهر نيازي وغولجان). آن الآوان يا خزّاف! (يكشف الخِمار عن وجه غولجان باليد الثانية). انظر، أليستْ رائعة الجمال؟

جحا: إنها رائعة الجمال حقاً! ولكن هل تحمل معك صكّ الدين على الخزّاف؟

جعفر: ها هو!

جحا: خُذْ إذَنْ الدنانير الأربعمئة التي يدين لك بها! (يمزّق صكّ الدين ويَعُدُّ النقود للمرابي. لغولجان). لقد صفَّيتُ حسابي معك أيتها الحسناء. لكن لا تنسي قلبي. لقد سلبتِني إيَّاه مع الفائدة وهو الآن مُلْكُكِ.

نيازي: قل لنا أيها الغريب ماهو اسمك لنعرف من نشكر!

جعفر: (وقد صحا) نعم! اسمك! لأعرف من ألْعَنُ!

جحا: في بغداد وطهران، في اسطنبول ومكة، في كل مكان يدعونني جحا نصر الدين!

نيازي وغولجان: جحا نصر الدين؟

الحرفيون : جحا نصر الدين؟

جعفر : جحا نصر الدين؟!

(يخطف رسن الحمار ويجري خلفه)

ستار

الاستراحة الأولى

(جعفر أمام الستار يتلفَّت ويهدِّد بقبضة يده)

جـعفـر: آخ، يا ابن الحرام! يا من يجمع في نفسه ناب الأفعى وقلب الفأرة! سأعلِّمك عمًّا قريب من هو جعفر. لقد سلبتَني تلك الحسناء، ولكني أُقسِم أنها لن تكون لك. سأذهب إلى القصر وأبيع تلك الفتاة إلى الأمير ذاته. سأذهب إلى القصر.

(يشد الحمار الحَرون) لا تحرن يا حمارَ النَّحس!

(يندفع الحرَّاس).

حارس مجدور: يا جعفر! تقولون إن جحا نصر الدين قد ظهر في بخارى!

جـعـفـر: نعم، عليه اللعنة!

الحارس: أين؟

جعـفـر: إنه هناك. اقبضوا عليه!

الحراس: اقـبـضـوا عليـه! . . أمـسِكوه! . . أوقـفـوه! . . (يتراكضون).

جعفر: اقبضوا عليه!

(في هذه الأثناء يهرب حمار جحا. يلتفِت جعفر ويلاحظ اختفاء الحمار فيصرخ بصوتٍ مقلوب:)

اقبضوا عليه!

(الحراس يندفعون من جديد نحو جعفر).

الحارس المجدور: ألا تصفه لنا؟

الحارس النحيف: كم طوله؟

جعفر: بهذا القدر. (يشير بيديه لطول الحمار).

الحارس البدين: - ماشكله؟

جعفر: مقرف ... مقرف جداً!

الحارس المجدور: وماذا يلبس؟

جعفر: على ظهره بساط وخِرْجٌ! اقبضوا عليه.

الحارس المجدور: ولا شيء يستره سوى البساط والخِرْج؟ ما هو شكل لحيته، شاربيه، أذنيه؟

جعفر: أذناه طويلتان!

الحارس النحيف: ماذا يلبس في قدميه؟

جعفر: حوافر.

الحارس المجدور: حوافر؟!

جعفر: وله ذنب. اقبضوا عليه!

الحارس المجدور: عمَّنْ تتحدث؟

جعفر: عن حماري.

الحارس: عن حمارك؟!

الحارس المجدور: ابحثوا عن جحا نصر الدين واقبضوا عليه!

(الحراس يخرجون راكضين)

جعفر: آه يا أحقر الحمير! سلخ الله جلدك القذر! وليجعلِ المولى القدير حفرة في طريقك تقع فيها وتكسر قوائمك الأربعة! يا للمصيبة، يا للمصيبة! اللَّهُمَّ علِّق أمعاءه المنتنة على جدران السوق! لقد هرب الملعون وفي أذنيه نقودي! يا للمصيبة، يا للخسارة الفادحة! سرقوني، سرقوني يا ناس!

(يخرج وهو يئن).

اللوحة الثانية

باحة الدار في بيت الخزّاف نيازي. مساءٌ ساحرٌ في ضوء القمر. العجوز نائم على سطح الزريبة وهو يشخر بهدوء. غولجان تغني تحت عريشة العنب.

غولجان:

يا نِعْمَ ما خلق الإلهُ لِوَعْيِ رسمِكْ:
شفتانِ كي أدعوكِ باسمِكْ!
عينانِ بُغْيَةَ أنْ أراكِ!
كَتِفانِ من أجلِ التمتُّعِ والدلالِ
إذا أحاطتْ بي يداكِ!
ويدانِ كي أرويكِ ضمّاً وعناقْ!
شيءٌ يدقُّ، يدقُّ في صدري أفَاقْ.
قلبي؟

لماذا قد وُهِبْتُ القلبَ

إلاَّ كي أحبَّكِ باشتياقْ!

(جحا يقفز فوقَ الجدار ويقترب من غوجان).

جحا: سألوا حكيماً: ما أكثرَ ما يعجب المرأةَ في الرجل؟ هل هو الجمال؟ فردَّ الحكيم قائلاً: لا. - أهْوَ القوَّةُ؟ قال الحكيم: لا. - الإخلاص؟ أجاب الحكيم: لا. فسألوه: ماذا إذن؟ أجاب الحكيم: الهدايا. انظري يا غوجان الهدية التي أحضرتُها لك.
(يريها طوقاً).

غوجان: وأين الحمار؟

جحا: الآن تأكدتُ أن كُلَّ سكان بخارى من المجانين. انظروا إلى هذه الحسناء! جحا يعرض عليها طوقاً ثميناً ويضيف عليه حبَّهُ فوق ذلك، وهي تسأله عن حمار أعجف! اسمعي يا غوجان، إن أكبر حمار في العالم هو أنا، وأنا أحبُّك... (يميل نحو غوجان كي يقبِّلها فيتلقَّى صفعة قوية على خده. بهدوء) يبدو أنني سمعت صوتَ صفعة؟

غوجان: تستحقُّ عشرَ صفعاتٍ! إذا كنت تستطيع نسيان حمارك، وصديقك المخلص بهذه السهولة، فهذا يعني أنك تستطيع نسياني بنفس البساطة. أنا لا أصدقك.

جحا: (يمسح خدَّه). إذنْ هذا حظِّي.. الحبُّ للحمار، والصفعة لي أنا.

غوجان: وأنتَ لماذا تمطُّ شفتيك إلى حيث لا ينبغي؟

جحا: ومن الذي حدَّد إلى أين ينبغي وإلى أين لا ينبغي مطُّ الشفتين؟

(يميل على غوجان).

أيتها الشفتان الشقيَّتان إلى أين تمتدَّان؟ أَلَمْ تسمعا أنَّ المطَّ ممنوع؟! (خَبْطٌ شديد على الباب).

غوجان: (تنهض مضطربة). اهرب، فقد يلقون القبض عليك!

(يقترب جحا من الباب ويتنصَّت قليلاً ثم يفتح الباب فيدخل الحمار).

جحا: استقبلي محبوبك أيتها العاشقة!

غوجان : عاد، عاد حماري العزيز! (تُقبِّل الحمار).

جحا : لقد سبق أن قلتُ لك يا غوجان إن أكبر حمار هو أنا. فلماذا تقبِّلينه؟ إنه لا يدرك طعم القُبَل!

غوجان: اسمع يا جحا، قل لي أين بيتك؟ هل عندك عائلة؟ ومن يكون أبوك؟

جحا: أبي هو تلك الصدفة التي بفضلها التقيتُ بك، وأمي هي حبي للمزاح. أين بيتي؟

(يبدأ الغناء بصوت منخفض كيلا يوقظ العجوز النائم)

أتَنَقَّلُ في أصقاعِ الدنيا

أُشبِهُ أجراسَ الإبلِ

ورفيقُ الدَّربِ علامتُهُ

طولُ الأذُنينِ حماري.

لا أحتاجُ لسقفٍ يحميني

فنجومُ الليلِ ستكفيني

وسماءٌ رائعةٌ فوقي

يذرعُها البدرُ تناجيني .

نَتَنَقَّلُ نحن الإثنينْ

يحملُني دونَ أنينْ

أرضى برغيفٍ يابسْ

يرُضيه ورقُ التينْ .

أوقاتَ الظُّهْرِ النَّاريْ

أتفيّأُ تحت حماري .

يمنحُني الظّلَّ رضيّاً

فأراه السقفَ وداري .

(غولجان وجحا يميلان على بعضهما البعض فيرتفع من جديد طَرْقٌ شديد على الباب) .

نيازي: (يستيقظ) مَنْ هناك؟

صوت بختيار: افتحْ بأمر الأمير !

غولجان: (لجحا) . الحرّاس ! اِهربْ !

(جحا يقفز من فوق الجدار . نيازي ينزل عن السطح ويفتح

الباب بيدين ترتجفان. يدخل جعفر وكبير الوزراء بختيار والحرّاس).

بختيار: لقد حلّتْ عليك السعادة أيها الخزّاف وابتسمَ لك القدر. إن أمير المؤمنين...

جعفر: (وقد رأى الحمار). ها هو سببُ خرابي! لقد وجدتُك أخيراً يا ابن الأبالسة! (يبحث في أذني الحمار). أين النقود؟ (لنيازي). أين النقود أيها المحتال؟

(يربط حبلاً حول عنق الحمار).

بختيار: إن أمير المؤمنين، حاكمَنا العادل، وسيفَ الله الماثل، أطال الله عمرَهْ ورفع شأنَهْ وقَدْرَهْ، قد تنازل وسمح لنفسه بتذكُّر اسمك التافه! لقد نُمِيَ إلى سمع الأمير أنَّ وردةً رائعة تنمو في حديقتك فأحبَّ أن يزيِّن بها قصرَهْ، أطال الله عمرهْ.

(الحراس يندفعون نحو غولجان بإشارة من بختيار).

نيازي: ماذا تفعلون؟ اتركوها!

غولجان: اتركوني! إلى أين تأخذونني؟ اتركوني، اتركوني!

(الحرّاس يبتعدون بغولجان).

نيازي: غولجان، ابنتي الحبيبة ... (يقع على الأرض مغمياً عليه).

بختيار: لقد أُغمي على العجوز من فرط السعادة. لكنه سيأتي غداً إلى القصر دون شكٍّ ليقدم جزيل الشكر والامتنانْ لسموّ الأمير على هذا الإحسانْ. (يخرج).

جعفر: (يشدُّ الحمار). هيَّا يا حمارَ النحس ... لقد كلَّفتَني أربعمئة دينار كاملة، يا أحقر المخلوقات. (يخرج)

(يقفز جحا من فوق الجدار إلى داخل الدار. في البداية ينطلق خلف جعفر ولكنْ عندما يرى نيازي الملقيّ على الأرض يتوقّف).

جحا: (يصرخ في إثر جعفر) أُقسم أنك ستدفع الثمن أيها الجقل الحقير.

نيازي: (يثوب إلى رشده). غولجان.. غولجان!

جحا: (يساعده على النهوض). لاتقلقْ.. سأنقذها.

نيازي: وكيف تنقذها؟ إنها الآن في حريم الأمير، يا للمصيبة، يا للعار! سأذهب إلى القصر وأركع عند قدمي الأمير، سوف أتوسَّل إليه وأذرف الدموع، وإذا لم يكن قلبه الذي في صدره من الصخر فإنه ...

جحا: لحظة! إنك نسيت أن الأمراء من طينة غير طينة البشر. إنهم دون قلب، ومن العبث التوسلُ إليهم. إنهم لا يعطون إلا بالقوة. وأنا جحا نصر الدين، هل تسمع أيها العجوز؟ سأستردُّ منه غوجان.

نيازي: يا للعار والشنارْ وخرابِ الديارْ...

جحا: كَفْكِفْ دموعك أيها الشيخ ولا تصرخ في أذني، لقد أصبتَني بالصمم يا أخي!

(يخلع عباءته ويعلّقها على السياج)

(نيازي يقود جحا إلى البيت).

نيازي: يا مُهجةَ قلبي.. ياغوجان!

(يختفيان في البيت. فترةُ صمت. الحارس المجدور يتسلّل إلى باحة الدار ويخطف عباءة جحا، ثم يهرب بها. جحا يخرج وقد ارتدى ملابس امرأة وغطى وجهه بالخِمار ثم يختفي خلف باب السياج).

اللّوحة الثّالثة

ديكور اللوحة الأولى. في المقهى علي ومحمد ويوسف والسقّا. يظهر المنادي أمام المقهى.

المنادي: اسمعوا أيها المؤمنون، اسمعوا وعوا أمر الأمير المعظَّم... يعلن سموُّ الأمير إلى الرعيَّة أنَّ من يلقي القبض على جحا نصر الدين ويُحضِره إلى القصر أو يأتي برأسه يُمْنَح جائزة مقدارها عشرة آلاف دينار! عشرة آلاف دينار مقابل رأس جحا نصر الدين. عشرة آلاف دينار... (يخرج).

(الحرفيون يتجمعون في حلقة صغيرة ويتهامسون. يظهر الحارس المجدور متسللاً ويختبىء خلف منصَّة المقهى وهو يُلصق لحية مستعارة).

الحارس المجدور: السلام عليكم يا أهل بخارى الطيبة.

علي: وعليك السلام يا عابر السبيل.

الحارس المجدور: يبـدو أنكـم لـم تتعـرَّفـوا علـيَّ. أنـا جـحـا نـصـر الدين.

علـي: ماذا تقول؟

يوسف: أنت جحا نصر الدين؟

الحارس المجدور: نعم أنا. (بعَظَمَة) ذلك الشـخص الذي ادَّعى أمـامكم أنه جـحـا نصـر الدين مـا هو إلا كـذَّاب أشِرٍ. جحا نصر الدين الحقيقي هو ـ أنا!

(يدخل جـحا متنكِّراً في زيّ امرأة. وعندما يسـمع كلمات الحارس المجدور يراقب بحذر).

خطاياي لا تُعَدُّ ولا تُحصى! لكنِّي منذ اليوم أُعلن أنني أنا جـحا نصـر الدين قد وعيت خطورة ذنوبي وقـرَّرت التـوبة النصـوح وأقـسـمت على طاعـة أمـيـر المؤمنين ومراعاة كافة تعاليم الدين الحنيف.

(علي يتبادل النظر مع الحرفيين ثم يقدم فنجاناً من الشـاي للحارس المجدور بكل احترام).

علـي: لقـد سـمعت الكثيـر عن حكمـتك يا جـحـا. وسـوف أُحدِّث الجميع أنني قد أسعدني الحظ برؤيتك.

الحارس المجدور: نعم، نعم! حدَّث الجميع أن جحا نصر الدين قد تاب عن كل ماسبق أن ارتكبه من المعاصي.

علـي: قل يا سيد جحا، ماذا يجب على المسلم أن يفعل إذا فوجيء بسماع صوت المؤذن وهو يسبح في النهر؟ إلى أي الجهات يجب أن يتوجه بنظره؟

الحارس المجدور: بالطبع، إلى جهة مكة المكرمة!

جحا: (من تحت الخمار). إلى الجهة التي ترك فيها ملابسه حتى لا يضطر للعودة إلى البيت عارياً كما ولدته أمه.

(الحرفيون يضحكون. الحارس المجدور يلقي نظرة ازدراء على جحا).

محمد: قل لنا يا جحا المحترم، أين يحسن بالمسلم أن يسير عندما يشارك في تشييع جنازة، أأمام النعش أم خلفه؟

جحا: (يستبق الحارس في الإجابة). لا فرق، بل المهم ألا يكون داخل النعش.

(الجميع يضحكون).

الحارس المجدور: من أنت أيتها المرأة الوقحة؟ احفظي لسانك الطويل وإلا ... (للحرفيين). من أسهل الأمور عليَّ أنا

جحا نصر الدين أن أسحق هذه المرأة التافهة بظرفي وفكاهتي ولكنَّ حديثنا جدِّيٌّ رفيع لا مكان فيه للظرافة ... وهكذا أنا جحا نصر الدين، أدعوكم أيها المؤمنون الصالحون ألا تصغوا لمختلف الصعاليك والمدّعين كذباً إنهم يحملون اسم جحا نصر الدين. ألقوا القبض على أمثال هؤلاء فوراً، وسلّموهم لحرس الأمير.

جحا: (يخلع الملاءة). صحيح. إذن أنت جحا نصر الدين الحقيقي؟

الحارس المجدور: (متلعثماً). نعم أنا جحا الحقيقي، أما أنت فدجّال محتال.

جحا: ماذا تنتظرون، رعاكم الله؟ لقد اعترف بنفسه! ألقوا القبض وسلّموه للأمير. لقد سمعتم أنَّ من يقبض عليه يمنح عشرة آلاف دينار. . أمسكوه وإلا فستعاقبون لتواطؤكم وتستّركم عليه! (ينزع اللحية المستعارة عن الحارس المجدور). اقبضوا عليه!

(يشعر الحارس المجدور بالخطر المحدق فيحاول الهرب ولكن الحرفيين يمسكون به ويشبعونه ضرباً ولكماً).

الحارس المجدور: لقد كنت أمزح! كنت أمزح أيها المؤمنون! أنا لست جحا نصر الدين ...

جحا: كذّاب. لقد اعترفت بنفسك وكلُّنا سمعنا اعترافك. والآن علينا تنفيذ أمر الأمير المعظَّم بحذافيره. اضربوا جحا أيها المؤمنون واسحبوه إلى قصر الأمير.

الحارس المجدور: انتظروا، تمهّلوا ... سأشرح لكم ...

(الحرفيون يجرُّون الحارس المجدور).

جحا: (لعلي). آمل أن تكون قد فهمت الفائدة من لحية جحانا ذاك المستعارة؟

علي: ما فائدتها لك؟

جحا: بهذه اللحية لن يجرؤ أحد على تنفيذ أمر الأمير فيما يخص جحا الحقيقي (يلصق اللحية المستعارة على وجهه ويخلع ملابس المرأة).

علي: لكن لماذا تنكرت في ثياب امرأة؟

جحا: أردت التسلل إلى حرملك الأمير.

علي: إلى حرملك الأمير؟

جحا: نعم، كي أُنقذ غولجان. ولكن الحراس لم يسمحوا لي بدخول القصر! ومع ذلك سأجد وسيلة.

علـي: ولكنك تعرف أنه قد خُصِّصت جائزة مقدارها عشرة آلاف دينار مقابل رأسك!

جحا: أعرف، بل وتراودني فكرة بيع رأسي مقابل هذا المبلغ الجيد. (يجلس ويشرب الشاي).

(يندفع إلى الساحة أمام المقهى كلٌّ من الحارس النحيف والحارس المجدور الذي تظهر على وجهه الكدمات وآثار الضرب بشكل واضح).

الحارس المجدور: لقد كان هنا!.. آخ يا رِجلي.. في ملابس امرأة.. آخ يا عيني!

الحراس: في ملابس امرأة؟!

(يندفعان للبحث)

الحارس المجدور: (يركض خلفهما). الجائزة لي أنا! أنا أول من رآه... الجائزة لي أنا...

(يسمع صراخ امرأة من خلف الكواليس، تندفع امرأة إلى الخشبة وخلفها الحارس النحيف يحاول نزع ملاءتها).

المرأة: النجدة! النجدة! (تدفع الحارس عنها) يوسف، يا يوسف...

(يأتي الحارس المجدور لمساعدة زميله النحيف. يوسف ينذفع داخلاً على صوت صراخ زوجته).

يوسف: أيها المؤمنون، هل ضاعت النخوة من رؤوس الرجال؟! ما لكم تتفرَّجون والحرَّاس ينتهكون حرمة زوجاتنا؟!

(ينشب شجار)

محمد: (يضرب بقبضتي يديه) أيها السفلة...

الحارس المجدور: اقبضوا عليه! ... امسكوه...

يوسف: (وقد تسلَّح بملقط الحدادة). سأريكم أيها الأوغاد...

السقا: خذ يا كلبَ الأمير...

الحارس النحيف: اتركوا لحيتي... اتركوا لحيتي..

(الحراس والحرفيون يشتبكون في كتلة واحدة ويتدحرجون خلف الكواليس. نيازي يخرج من باب الدار وينظر بدهشة إلى الجهة التي يأتي منها الصياح).

علي: (يتابع المعركة ويكرر ما يراه من حركات). اضربه، هكذا!.. على أذنه يا محمد... اضربه على أذنه. (لجحا) والله لقد نتف له نصف لحيته!

(تندفع المرأة الثانية وخلفها يركض الحارس البدين. المرأة تخطف إناء فخارياً من عند نيازي وترمي به الحارس).

نيازي: ماذا تفعلين ببضاعتي أيتها المرأة؟

(المرأة ترمي الحارس بإناء آخر).

إنها رزقي الذي أعيش منه!

(الحارس البدين يمسك بالمرأة ويحاول نزع ملاءتها).

المـرأة: النجدة! النجدة!

نيازي: (يحمل أكبر إناء فخاري ويلبسه على رأس الحارس البدين بحركات عجوز متهالك) هذا رأس احتياطي لك يا عزيزي.. هِي أنتَ.. تسمعني؟

(الحارس البدين يحاول خلع الجرة الفخارية التي تلبَّسته بشكل مُحكَم. الحارس المجدور يندفع وفي يديه ملاءة نسائية والحرفيون يلاحقونه).

محمـد: قفْ! لن تُفلت من أيدينا يا ابن الحرام!

يوسف: لم يكفه ما ناله اليوم.. إنه يطلب المزيد...

(الحارس المجدور في اندفاعه إلى الطرف الآخر يصطدم بحسين قَوَّصْلي القادم من هناك وهو شخص ذو لحية طويلة يرتدي ملابس عربية ويضع نظارة)

حسين قوصلي: بسم الله الرحمن الرحيم... ماذا يحدث هنا؟

(الحرفيون يخرجون راكضين خلف الحارس المجدور ويوقعون في طريقهم نظارة حسين قوصلي عن أنفه. الحارس البدين يتقلب على الأرض محاولاً بكل ما أوتي من قوة نزع الجرة الفخارية عن رأسه).

(وهو يفتش الأرض بيديه بحثاً عن النظارة). دلَّني على الطريق إلى القصر أيها الفاضل. (الحارس البدين يجيبه مولولاً من داخل الجرة الفخارية).

(يجد النظارة فيلبسها). دلَّني من فضلك أيها الفا... (يقع نظره على إنسان ذي رأس خزفي فيقفز نحو جحا من الخوف) قل لي يا رعاك الله، ماذا يحدث هنا؟

جحا: إنها السوق.

حسين قوصلي: وهل السوق دائماً في بخارى على هذه الصورة؟ قل لي، عافاك الله، أين القصر؟

جحا: قصر الأمير؟

حسين قوصلي: نعم، اعلم يا عبد الله أنني حكيم ومنجِّم وطبيب مشهور جئت من بغداد بدعوة من أمير بخارى، الحاكم العدل الوقور.

جحا: وما هو اسمك، أَمَدَّ الله في عمرك؟

حسين قوصلي: حسين قوصلي.

جحا: (يتصنع الدهشة) حسين قوصلي؟! (يبتعد عنه متوجِّساً). يالك من رجل تعيس! لقد دنا أجلك وضاع رأسك!

حسين قوصلي: كيف؟ ... ولماذا يحدث هذا؟

(الحارس البدين يصرخ من داخل الجرة ويلوِّح برأسه).

جحا: (يشير إلى الحارس) ألا تعرف أن كل هذا قد حدث بسببك؟

حسين قوصلي: بسببي؟

جحا: لقد وصل إلى سمع الأمير أنك عندما تركت بغداد أقسمت أن تتسلل إلى حرملك القصر!

حسين قوصلي: أنا؟ أتسلل إلى الحرملك؟

جحا: نعم، نعم إلى الحرملك! ولذلك فقد أمر الأمير بقطع رأسك ما إن تدخل المدينة.

حسين قوصلي: لكنِّي لم أقل شيئاً عن الحرملك أبداً! كما أني أصبحت عجوزاً لا أصلح لشيء. فلماذا أتسلَّل إلى الحرملك، قل لي بربِّك؟

جحا: لا أعرف، لا أعرف . . وقد وصل إلى علم الأمير أنك ظهرت في المدينة فأرسل الحراس للقبض عليك وبدأوا في التفتيش عنك ونبْشِ الأسواق والدكاكين حتى توقفت التجارة وساد الصخب وحَلَّ الغضب! انظر إلى ما يحدث الآن في بُخارى بسببك!

حسين قوصلي: يا لحظِّي التعيس!

(الحارس البدين الذي ما زال رأسه في الجرَّة يتجمَّد في مكانه عندما يسمع ولولة الحكيم) (يائساً) إلى بغداد! . . سأعود أدراجي إلى بغداد!

جحا: لكنَّهم سيُلقون القبض عليك عند بوابة المدينة وسيقودونك إلى القصر، فينال الحراس الجائزة الموعودة مقابل رأسك... عشرة آلاف دينار!

حسين قوصلي: عشرة آلاف دينار مقابل رأسي؟! يا لبؤسي ونحسي! ضاع رأسي! (يسمع الحارس البدين بالعشرة آلاف دينار فيسير وهو يتحسَّس بيديه حتَّى يقع على الجدار فيبدأ يضرب الجرة الخزفية على زاوية الجدار بهياج).

جحا: (يقدم للحكيم ثياب المرأة). سمعت الكثير عن علمك وفضلك وسوف أساعدك. البس هذه الملاءة النسائية

لتستطيع الخروج من المدينة دون أن ينتبه إليك أحد وتعود إلى بغداد بأمان واطمئنان.

حسين قوصلي: أشكرك، أشكرك أيها البخاري النبيل!

(حسين قوصلي يخلع جبَّته وعمامته ويعطيها لجحا. جحا يلبس ملابس الحكيم).

حسين قوصلي: لكنْ ألا تترك لي جبَّتي أيها البخاري الكريم؟

جحا: إذا كنت لا تخشى أن يتعرفوا عليك وأنت في هذه الجبة فخذها أيها الحكيم الشجاع.

حسين قوصلي: (يرتدُّ خوفاً). لا، لا، ! لكنْ اترك لي على الأقل عمامتي.

جحا: إذا كنت لا تخشى أن يُعلَّق رأسك الحكيم وفوقه هذه العمامة على الخازوق في ساحة المدينة...

حسين قوصلي: لا، لا! . . إلى بغداد! إلى بغداد بسرعة!

(يدخل الحمار راكضاً)

جحا: هذا أنت يا أشهب؟ (يفكُّ عن رقبة الحمار قطعة الحبل المقطوع). أن تقرض الحبل، شيء لا يدهش، ولكن كيف قفزت من فوق جدار بيت المرابي جعفر وهو

مزروع بالأشواك والمسامير؟ (يركب الحمار). تعود بالسلامة إلى بغداد أيها الحكيم حسين قوصلي. (يجرّ الحمار ويخرج).

(حسين قوصلي يتسربل بالملاءة النسائية ويتوجه إلى الجهة المعاكسة. الحارس البدين ينجح أخيراً في كسر الجرَّة الخزفية ويقبض على الحكيم).

الحارس البدين: ها، ها، وقعت أخيراً؟!

(يأتي الحارس النحيف راكضاً).

حسين قوصلي: (بصوت نسائي). أنا مستعجلة إلى البيت. زوجي في انتظاري! اتركوني أذهب، أيها الجنود البواسل!

الحارس البدين: زوجك؟ في البيت؟ (يضحك بانتصار وينزع الملاءة عن الحكيم) هاهو ... أخيراً!

الحارس النحيف: عشرة آلاف دينار مقابل هذا الرأس! لقد أصبحنا من أصحاب الثروة!

ستار

الاستراحة الثانية

يظهر المرابي جعفر أمام الستار وفي يده حبل .

جعفر: يا للمصيبة! يا للخسارة التي لا تعوَّض!

(يدخل علي ويوسف ومحمد)

علـي: لقد أكلها الجاسوس المجدور هذا اليوم كما ينبغي .

يوسف: (يفحص ملقطه) حتى أنَّ الملقط قد انحنى ... لقد ربيّناه .

محمد: في حياته، لن يعود إلى التجسس في المقهى .

جعفر: يا جماعة الخير، ألم تروا حماري في طريقكم؟

علـي: هل هرب منك؟

جعفر: حمار لعين! كنت غائباً عن البيت فقرض الحبل الجديد الذي أخذته من الحبَّال البارحة مقابل فائدة الدَّيْن الذي لي في ذِمَّته . كما التهم جميع أزهار شجرة اللوز

وأوراقها ثم فتح ثغرة كبيرة في سياج الدار وهرب الحقير ليتجنب العقاب الذي في انتظاره وهذا ما جعل خسارتي مضاعفة!

علي: لكنك يا جعفر آغا ستلاقي في أذنيه كل يوم دينارين!

جعفر: لم أحصل منه على فلس واحد! إذ ما تكاد النقود تنمو في أذنيه حتى يهرب الملعون مني.

محمد: ألا يمكن أن يكون قد اختفى في خانٍ ما؟

جعفر: فتَّشتُ عنه في جميع خانات المدينة دون جدوى، والآن لم يبق إلاّ أن أبحث عنه في المسالخ ... يا للمصيبة! قد يكون جلده الوسخ معلَّقاً الآن في أحد المسالخ! (وهو خارج). محمد، لا تنس ميعاد وفاء دينك.. يوم الجمعة بعد صلاة المغرب!

علي: هذا يعني أنَّ جحا وحماره العجيب قد اجتمعا من جديد!

(الحرفيون يخرجون)

اللَّوحة الرا.

استراحة الأمير. الأمير مستلقٍ على الوسائد الحريرية تحيط به الحاشية. رجل يلوِّح فوق رأسه بمروحته الضخمة يطرد الذباب، وكبير النراجيلية يدس مبسم النرجيلة في فم الأمير بين حين وحين. غولجان مطروحة عند قدمي الأمير وهي فاقدة الوعي وقد غطيت بوشاح من القماش. الأمير يأتي بحركة من يده فيستدير الجميع لينحني هو فوق غولجان ثم يرفع عنها الوشاح.

الأمير: جميلة حقاً... سنتنازل ونتكرَّم بالدخول عليها هذه الليلة (فترة صمت). يالها من حسناء! (يتفحَّص أفراد الحاشية بنظرةٍ مرتابة) نأمل أن لا يكون قد تجرأ أحد من الحضور على اختلاس النظر إلى طلعتها البهية؟

الحاشية: (بصوتٍ واحد) لم يتجرأ أحد يا مولاي!

الأمير: جميلة، جميلة! (رجال الحاشية لا يجيبون ويمسِّدون

لِحاهم باضطراب) . هل سمعتم أننا مدحنا جمالها ثلاث مرات!

الحكيم ذو اللحية الطويلة: (يتلفَّت بخوف) وضَّاءة بين النجوم تضيء كالبدر المنير!

الحكيم ذو العمامة الهائلة: (يتابع) طويلة الضفيرة كأنها أميرة!

كبير النراجيلية: وشعرها الحرير يليق بالأمير!

الذباب: حواجب معقودة كسيوف مرصودة!

الحكيم ذو اللحية الطويلة: عيناها سبحان الباري كأنَّها الخوخ البُخاري!

الحكيم ذو العمامة الهائلة: يا للجفون الساحرة!

كبير النراجيلية: يا للرموش الآسرة!

الذباب: يا للجبين الثلجِ في بياضهِ!

الحكيم ذو اللحية الطويلة: والصوتُ عزفُ نايٍ أو تغريدُ عندليب!

الحكيم ذو العمامة الهائلة: خدَّان، ما التفاح في احمراره!

كبير النراجيلية: وجيدُها من مرمرٍ صقيل!

الذباب: والثغر منها برعم أو أصغر!

الحكيم ذو اللحية الطويلة: في صدرها رمَّانتانْ تاجاهما كَرَزْتَانْ!

الحكيم ذو العمامة الهائلة: وكتفاها . .

الأمير: يكفي! لقد سمعنا هذه الأوصاف بعدد نسائنا في الحرملك. ألا يمكنكم أن تبدعوا أوصافاً جديدة؟ لماذا أدفع لكم رواتبكم، قَصَّرَ الله أعماركم، أَلتملؤوا هذه البطونْ أيها الكسالى الشرهونْ؟!

(يندفع الحارس المجدور ويخرُّ ساجداً أمام الأمير).

الحارس المجدور: ليأمر مولاي الأمير بقطع رأسي!

بختيار: ماذا حدث أيها الحارس؟

الحارس المجدور: جحا نصر الدين الملعون... تخفَّى في ثياب امرأة واستطاع الإفلات من يدي.

الأمير: (يلقي على رجال الحاشية بنظرة غاضبة) متى سنرى أخيراً رأس هذا المشاغب فوق الطبق المناسب؟ (الحاشية لا تجيب). من هو حاكم بخارى؟ من هو حاكم بخارى؟ إني أسألكم! أنا أم ذلك السافل

اللعين، جحا نصر الدين؟ من هو حاكم بخارى؟ من منَّا الأمير، أنا أم هو؟ سرعان ما يصل الحكيم حسين قَوصلي الذي استدعيته من بغداد خصيصاً. وعندئذ ستعلمون أيَّ منقلبٍ تنقلبون! إنه ...

الحاجب: (يدخل مسرعاً) مولاي أمير المؤمنين! وصل الحكيم حسين قوصلي آتياً من بغداد!

الأمير: أدخِلوه!

(يدخل جحا نصر الدين مسرعاً يجرُّ وراءه حماره).

جحا: (يركع أمام الأمير). السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. لقد تجشمت السير في الليل والنهارْ وقطعت البراري والقفارْ لأحذِّر الأمير من شرٍّ قادم وخطرٍ داهم... طمئنِّي يا مولاي. ألم تدخل اليوم على امرأة؟

الأمير: على امرأة؟ اليوم؟ لا، ولكنْ عقدنا العزم على الدخول...

جحا: (بارتياحٍ مصطنع) الحمد لله! الحمد لله أنني وصلت في الوقت المناسب!

الأمير: لحظة، لحظة أيها الحكيم! إنك تتكلم بالألغاز...

جحا: ليكن في علم مولاي الأمير أنَّ مواقع النجوم هذه الليلة ضد رغبات الأمير الجليلة. لقد رصدتُ النجوم وعددتها وتوصلت إلى نتيجةٍ مفادُها أنه ما لم تتغير مواقعها المذكورة لا يحق للأمير الدخول إلى ربات الخدور وإلا وقع المحظور...

(الحمار يدسُّ رأسه في طبق الفواكه الموضوع إلى جانب الأمير. رجال الحاشية يرفعون أيديهم تعبيراً عن الاحتجاج والاستنكار. النراجيلي والذَّبَّاب يشدَّان الحمار من ذنبه لإبعاده).

ماذا تفعلون أيها الجهلة؟ توقَّفوا عن فعلتكم المخجلة! (يركع أمام الحمار). حلْمَكَ أيها السلطان النبيل ولا تغضب من فعلة هؤلاء الجهَّال من الرجال!

الأمير: سلطان؟! أي سلطان؟

جحا: ما تراه أمامك أيها الأمير ليس حماراً من الحمير. بل هو عبد الله بن أبي مسلم سلطان مصر العظيم. لقد حطَّ به القدر وحكايته العجيبة تستحقّ أن تكتب بالإبر على مآقي البشر!

الأمير: احكِ لنا أيها الحكيم حكاية السلطان العظيم! (يقدِّم طبقَ الفواكه للحمار).

جحا: منذ سبع سنوات أيها الأمير كنت أرصد النجوم فرأيت أن نجوم القفر الثلاث تعاكس نَجْمَتَيْ الإكليل اللتين تمثِّلان التاج الجليل. وبعد العدِّ والحساب توصلت إلى شافي الجواب الذي يشير إلى كيس الخرج المؤدي إلى أُذُنَيْ الحمار والكرباج ففهمت. وأنا لست إلا ذرَّةً في أشعَّة مجد الأمراء، أنَّ أذني الحمار والكرباج تهدد حامل التاج، الحاكم الوقور إذا مسَّ وشاح امرأةٍ من ربَّات الخدور...

الأمير: وشاح امرأة؟!

الحاشية: (كالصدى) وشاح امرأة؟!

جحا: سرعان ما شددت الرحال إلى القاهرة، زهرةِ المدن العامرة، لتحذير السلطان العظيم من الخطر المحدق الوخيم.. ولكنْ واحرَّ قلباه... تأخَّرت يا مولاي عن الوصول في الوقت المناسب لأقوم بالواجب...

الأمير: تأخرت؟!

جحا: دخل السلطان العظيم عبد الله بن أبي مسلمْ..

يا للحدث المؤلمْ . . ولمس إحدى الجواري فانمسخ في الحال وكفَّ عن كونه رجلاً من الرجال ـ بل نما في مؤخرِّته ذَنَبٌ طويل سادر، وتحولت أطرافه إلى حوافر، ثم نهق السلطان العظيم، واندفع هارباً من القصر لا يريم! أمضيت سبع سنوات أبحث عن السلطان بين الحمير، ولم يحالفني الحظ إلا في السنة الثامنة فعثرت عليه ونِلت الأربْ، حين قابلته صدفة وهو يئنُّ تحت حملٍ من الحطبْ. فاشتريته من صاحبه على الفور...

الأمير: ولكن كيف تعرَّفت عليه؟

جحا: (يشير إلى البقعة البيضاء في جنب الحمار). من هذه العلامة الملكية، دمتَ ذخراً للرعية.

الأمير: (للحمار) يا لحظك العاثر أيها الأخ العزيز جلالة السلطان عبد الله! كثيراً ما سمعنا مثل هذه الحكايات، ولكن لم يسبق لنا أن استقبلنا في قصرنا شخصياتٍ مَلَكِيَّةْ في مثل هذه الحالة المزرية التي تستدرُّ الدموع!

جحا: وفي الليلة الماضية يا مولاي لاحظت أن مواقع النجوم فوق بخارى تدلُّ على علامة النحس نفسها، فارتجف

قلبي من الهلع إذ وعيت الخطر الذي يتهدَّد أمير بخارى العظيم. فقضيت ما تبقى من الليل لا أتوقف عن الجري ولا أعرف طعماً للراحة نظراً لضيق الوقت وحراجة الموقف إلى أن سقط جوادي إعياءً عند بوابة المدينة. لكني وصلت والفضل لرب العباد، في الوقت المناسب والميعاد!

الأمير: لكنْ في هذا اليوم بالذات، أيها الحكيم، أحضروا لنا هذه الفتاة لنضمَّها إلى الحريم...

جحا: اطردها من أفكارك يا مولاي. ولا تفكِّر فيها قبل أن تتغيَّر مواقع النجوم.

(الحمار يلاحظ انفعال صاحبه جحا فيشرع في النهيق).

يا لمعجزة المعجزات! السلطان العظيم يرجو مولاي الأمير أن ينتظر! اطرد هذه الفتاة من أفكارك بأسرع ما يمكن. اطردْها.

الأمير: على رُسُلكْ، هدِّئْ من روعك أيها الحكيم. سننتظر. أرى أنك حكيمٌ مخلص. ولهذا فإني أخلع عليك هذه الخلعة... حزام الأمير، علامةَ الرفعة! (يخلع حزامه ويلبسه لجحا).

الحاشية: يا للكرم العظيم! ... يا أكرم الكرام! . . الكرام بين الكرام! . .

الأمير: وأنتم؟ ماذا كنتم تفعلون؟ أميركم كان سيتحوَّل إلى حمار، وأنتم لم تحرِّكوا ساكناً! (للحمار). انظر إليهم يا جلالة السلطان. . انظر إلى السّحن التي تشبه تماماً سحنة الحما ... إحم. . الحرباء! ما من أميرٍ في الدنيا ابتلى بمثل هؤلاء الوزراء الأغبياء!

جحا: لقد أصاب مولاي الأمير كبد الحقيقة. حقاً إنَّ وجوههم لا تنمُّ عن أدنى حدٍّ من الفطنة.

الأمير: ها، ها! صحيح. هل سمعتم أيها الأغبياء؟

جحا: وأضيف إلى ما قلت. إنني لا أرى هنا وجوهاً تتمتَّع بعلائم النزاهة.

الأمير: لصوص! كلُّهم لصوص! كلُّهم بلا استثناء! وكسالى أيضاً! (للحمار) منذ أسبوعين، يا سلطان عبد الله، أصدرنا أمراً بالقبض على جحا الذي ظهر في مدينتنا، وهم ...

الحارس البدين: (يندفع داخلاً). ألقيت القبض على جحا نصر الدين!

الأمير: أخيراً!

(الحارس البدين يدفع حسين قوصلي المتنكِّر في ملابس امرأة).

بختيار: هذا ليس جحا نصر الدين!

الأمير: (لحسين قوصلي مهدِّداً). ما الذي دعاك للتنكُّر في ثياب امرأة؟

حسين قوصلي: (يركع على ركبتيه). كنت في طريقي إلى مولاي الأمير. ولكنِّي التقيت في طريقي برجل قال لي إنَّ الأمير قرَّر قطع رأسي، ولهذا...

الأمير: قطع رأسك؟ أنت؟ ولماذا؟

حسين قوصلي: لأني أقسمت كما ادَّعى ذلك الرجل، بالتسلُّل إلى حرملك الأمير. ولكنْ يشهد الله أنه لم يخطر على بالي شيء من هذا القبيل! فأنا إنسان عجوز لا يصلح للنساء.

الأمير: تتسلَّل إلى حريمنا؟! من تكون يا هذا؟!

حسين قوصلي: أنا - حسين قوصلي، الحكيم والمنجِّم البغدادي.

الأمير: كذّاب! هاهو حسين قوصلي!

(جحا يتقدَّم إلى الأمام مع إشارة الأمير).

حسين قوصلي: هذا هو الرجل الذي قال لي إنَّ الأمير يريد قطع رأسي!..

الأمير: (لجحا) ماذا يقول هذا الرجل يا حسين قوصلي؟

حسين قوصلي: (يولوِل) أي حسين قوصلي؟ أهو حسين قوصلي؟ أنا حسين قوصلي! إنه محتال سرق اسمي!..

جحا: عفوك يا مولاي الأمير! هذا الرجل يدَّعي أني سرقت اسمه... ألا يمكنه أيضاً أن يدَّعي أنَّ هذه الجبَّة له؟

حسين قوصلي: طبعاً جبَّتي!

جحا: ألا يمكن أن تكون هذه العمامة لك أيضاً؟

حسين قوصلي: طبعاً عمامتي!

جحا: والزنَّار؟

حسين قوصلي: (يصرخ) لي، لي...

جحا: والآن تأكد الأمير من هوية الشخص الذي يقف في حضرته. اليوم يدَّعي أنَّ الجبة له والعمامة له والزنار

ـ هذا الزنار ـ له، وغداً قد يصل به الجنون حداً يدَّعي معه أن هذا القصر له وأنه أمير بُخارى الحقيقي!

الأمير: أنت على حقٍّ يا حسين قوصلي! هاتوا رأس هذا المجنون.

(حسين قوصلي يخفي رأسه بين يديه ويبكي).

جحا: مولاي الأمير، أرجوك أن لا تتعجَّل في اتِّخاذ القرار قبل أن نعرف أهدافه الحقيقيَة. اتركه لي يا مولاي وأنا سأسومه من ألوان العذاب ما يجعله يقرّ ويعترف بكل شيء!

الأمير: حسناً، إنه لك أيها الحكيم، عذِّبْه أشدَّ العذاب إلى أن تحصل منه على شافي الجواب وتعرف أصله وفصله.

الحارس النحيف: (هامساً للحارس البدين) ضاعت العشرة آلاف دينار. (بإشارةٍ من الأمير يُخرِجون حسين قوصلي).

الأمير: ألا تحتاج أيها الحكيم اللبيب لجلاَّدٍ خبير في التعذيب؟

جحا: لا تشغل بالك يا مولاي بهذه المسألة. سأجرِّب فيه كلَّ أصناف التعذيب المستعملة في قصر سلطان مصر العظيم. سأخلع أسنان المجرم بالملاقط الحديدية.

الأمير: خَلْعُ الأسنان؟ طريقة لا بأس بها.

جحا: وإذا لم يفِ هذا الأسلوب بالهدف فسوف أعصر رأسه بالحبل والعصا.

الأمير: تعصر رأسه بالحبل والعصا؟! (للحمار) آه يا سلطان عصرك، يبدو أن حكماء قصرك عندهم فنون ومزايا في هذه القضايا!

(يسمع صياح جعفر من خلف الكواليس: «العدل، أتوسَّل العدل!..» يندفع جعفر داخلاً ثمَّ يخرُّ راكعاً أمام الأمير).

جعفر: أنصفْني يا مولاي الأمير وكلِّفْهم بالبحث عن حماري... آه! ها هو... أيها الحيوان القذر! (يندفع نحو الحمار) وقعتَ أخيراً! (يربط الحبل حول رقبة الحمار).

الأمير: توقَّفْ أيها الحقير! (للحمار) عفوك يا سلطان عبد الله عن الإهانة التي ألحقها بك هذا السافل الجاهل!

جعفر: (بدهشة) السلطان عبد الله؟!!

الأمير: نعم! لقد حصل لك كبير الشرف بالنظر إلى السلطان عبد الله بنِ أبي مسلم ذاته، سلطان مصر العظيم الممسوخ في هيئة حمار.

جعفر: أهذا الحمار، هو السلطان عبد الله؟!

الأمير: ولأنَّك تجرَّأت وأهنت معالي السلطان سنقطع رأسك لتكون عبرة لغيرك!

جعفر: (يخرُّ راكعاً أمام الأمير) ارحمني، رحماك يا مولاي الأمير!.. هل نسيتَ خدماتي يا مولاي أنا الذي أحضرتُ لك الفتاة اليوم لتضمَّها إلى جواريك وأنا...

الأمير: سنكافئك على الفتاة! (بإشارة من الأمير يرمي بختيار حفنة من الذهب يلتقطها المرابي بجشع) أمَّا إهانة أخينا السلطان فستدفع رأسك ثمناً لها.

جعفر: رأسي؟! يا مصيبتي.. يا خراب بيتي! (يُلقي بنفسه راكعاً أمام الحمار) أتوسَّل إلى السلطان العظيم أن يسامحني ويرحمني! لقد أذنبتُ عن غير قصد...

الأمير: حسناً يا جعفر... بعد أن رأينا توبتك النصوح سنخفِّف عنك العقاب. بماذا تنصحنا يا حسن قوصلي؟

جحا: يمكن تكليفه بتأمين طعام السلطان الأعظم.

الأمير: يا للحكمة، يا للفطنة! وماهو الطعام الذي يناسب جلالة السلطان الأعظم؟!

جحا: إنه يحبُّ أكثر ما يحبُّ أوراق الجُمَّيْزِ الهندي الطازجة.

جعفر: أوراق شجر الجميز الهندي؟! وكيف الحصول عليها؟!

جحا: يمكن استيرادها من الهند أو من بلاد واقِ الواق في صناديق مصنوعة من الرصاص مُحْكَمَةِ الإغلاق.

جعفر: وقعتَ يا جعفر!

جحا: كما يحتاج السلطان الفواكه الناضجة كالتين والعنب والخوخ والرمان.

جعفر: ولكنَّ هذا سيؤدِّي لإفلاسي وسأتحوَّل إلى شحَّاذ معدم!

الأمير: هل سمعتَ ما قيل لك؟ انصرِفْ ونفِّذْ ما طُلب منك!

جعفر: يا مصيبتي وخرابَ بيتي! يا للخسارة التي لاتعوَّض! (يخرج).

ستار

الفصل الثاني

اللوحة الخامسة

حديقة حرملك الأمير، بحرة من المرمر تتوسّطها نافورة الماء. إلى اليمين جدار من الحجر يعلوه سياج من الأسلاك الشائكة. نساء الأمير مضطّجعات فوق السجّاد والوسائد.

غولجان تجلس أمام المرآة الفضيَّة دون حراك. العجوز المتصابية أوطون بيبي تجهِّز غولجان للقاء الأمير: تكحِّل لها عينيها وتصبغ لها خدَّيْها.

أوطون بيبي: عندما يدخل عليك الأمير انحني أمامه وقولي له: «إذا كنتُ وردةً فاقطفْني واشكلني على صدرك ليخفق قلبك كجناح البلبل الشادي! وإذا كنتُ رمشاً فكنْ بؤبؤَ عيني لأردَّ عنكَ أذى الأعادي! وإذا كنتُ عصفوراً صغيراً فكن عشّي لأحتمي بك من رياح النوائب فيه أُصبح وأُمسي! (بانزعاج) وإذا كنتُ عنقودَ

عنب، فكُلْني بالهناء والشفـاء ليـزول عنك التـعب والعناء!» ما لكِ صامتة؟ لماذا لا تردّين؟ ردِّدي معي:
«إذا كنتُ وردة ...

(غوجان لا تردُّ).

لا، لَمْ أَعُدْ أحتمل. هل تسمعين؟ إنني أُعلِّمك أصول مخاطبة الأمراء وعليكِ أن تكوني شاكرة لي. اعلمي أنَّ المرأة التي تتحدث معكِ ليست من عامَّة الشعب، بل ابنةُ خانِ خوى ذاته!

(غوجان لا تردّ).

ياللعجبَ مِن أين أتى مولانا الأمير بابنة الخزّاف هذه؟ لوكانَ في كامل عقله لوجَّه كل اهتمامه إلى امرأةٍ تنحدر من أصلٍ ملكي تُحسِن مخاطبةَ الأمراء والملوك!

(لغوجان) هل سيطول صمتك يا ابنة الخزّاف المحترمة؟ ردِّدي معي: «إذا كنتُ وردةً فاقطفني ... »

واحدة من الحريم: ألا يمكن أن يكون قد سكنها الشيطان؟

اوطون يبي: اسكتي أنت. (لغوجان). . واشكلْني على صدرك ليخفق قلبك ...

(فجأة تقوم غولجان بحركةٍ واحدة تخلط بها الأصباغ على وجهها وتشعِّث شعرها. ثمَّ تعود إلى جمودها).

الحريم: يا إلهي!

أوطون بيبي: لا.. انظروا إليها! انظروا إلى ابنة الخزَّاف هذه! كلُّ جهودي ضاعت سُدًى! ضاعت جهودي هباء.

واحدة من الحريم: ألا يمكن أن يكون الشيطان قد سكَّنها حقّاً؟

أوطون بيبي: مهما كان فهذه قلَّة أدب! منتهى الفظاظة وقلّة التربية أن تسمحَ للشيطان بالتسلل إلى داخلها قبل دخول الأمير عليها! لا، لَمْ أَعُدْ أُطيق صبراً. يبدو أنَّ الأمير في القريب العاجل سيملأ الحرملك بمختلف أنواع الخزَّافات وراعيات البهائم والخبَّازات والطبَّاخات إلى آخر ما هنالك من الأوباش! إنني أقرف من معاشرة هؤلاء الناس.

(تعود لتزين غولجان من جديد. يقترب الأمير ومعه جحا من باب الحرملك)

الأمير: غُضَّ النظر أيها الحكيم.

(جحا يستدير إلى الوراء. أوطون بيبي تفتح الباب بسلسلةٍ ضخمة من المفاتيح).

أوطون بيبي: جاريتك الجديدة يا سيدي ليست جاهزة بعد. هل أحضرتَ لها الطوق الذي طلبتُه منك؟

الأمير: ها هو.

(يتناول من يد جحا علبة مجوهرات ويقدِّمها لها).

أوطون بيبي: ما هو لون الطوق الذي أحضرته؟

الأمير: لقد أحضرت لها طوقاً أحمر اللون يا عزيزتي أوطون بيبي!

أوطون بيبي: أحمر؟ (تهزُّ العلبة في وجهه) ولكنِّي طلبت منك طوقاً أزرق! إنك دائماً تخلط في كل شيء. من يُلبِس ابنة خزَّاف طوقاً أحمر؟! تربيتها لا تسمح لها بالتزيُّن بطوق أحمر!

الأمير: أنتِ لم تذكري شيئاً عن لون الطوق.

أوطون بيبي: (بغضب) يا إلهي! ألم أذكر لون الطوق؟! أنا؟

الأمير: أنت قلت: «اذهب إلى الخزانة وأحضِرِ الطوق» فذهبت وأحضرت لك طوقاً.

أوطون بيبي: لكن لماذا الأحمر؟ كان عليكَ أن تُحضِرِ الأزرق! هل تفهم - طوق أزرق، أزرق! ألا توجد في الخزانة أطواق زرقاء؟

الأمير: توجد أطواق زرقاء ...

أوطون بيبي: توجد!! إذن توجد أطواق زرقاء! لماذا أحضرت الأحمر إذن؟

الأمير: هكذا ... أُحبُّ الأحمر.

أوطون بيبي: أحبُّ الأحمر. . أُحبُّ الأحمر! كان والدي خان خوَى العظيم على حقٍّ حين عارض تزويجي منك لشكِّه في صحَّة عقلك! ماذا أصنع الآن بطوقك الأحمر هذا! (تفتح العلبة بعصبية) ماذا أفعل بـ... (تُخرِج طوقاً أزرق).

(فترةُ صمت)

لكنّه طوقٌ أزرق؟!

الأمير: طبعاً أزرق.

أوطون بيبي: ولماذا لم تقل هذا منذ البداية؟..

الأمير: لأني درست جيداً طبعك خلال ثلاثين سنة، والحكيم حسين قوصلي قدم لنا النصيحة المناسبة ...

أوطون بيبي: وما دخل طبعي في الموضوع؟

الأمير: لو قلتُ لكِ مباشرة إنني أحضرت الطوق الأزرق لصرختِ وقلتِ لماذا لم تُحضِر الطوق الأحمر. وعندما قلتُ لكِ، بناءً على نصيحة الحكيم حسين قوصلي، أحضرتُ الطوق الأحمر، بدأتِ تصرخين لماذا لم تُحضِر الطوق الأزرق. والآن ها هو الطوق الأزرق أمامك.

أوطون بيبي: (باضطراب) نعم ... إنه أزرق.

الأمير: طبعاً أزرق.

أوطون بيبي: ولكنّه غامقٌ قليلاً. ألم يكن هناك أطواق زرقاء أفتَحُ من هذا؟

الأمير: كانت هناك أطواق أفتح.

أوطون بيبي: ولماذا لم تحضِر طوقاً أزرق فاتحَ اللون؟

الأمير: (ضجِراً) لنذهبْ من هنا أيها الحكيم.

أوطون بيبي: انتظر! ألن تدخل اليوم على جاريتك الجديدة؟

الأمير: لا، لن أدخل عليها اليوم.

أوطون بيبي: (مهدِّدة) لن تدخل اليوم على جاريتك الجديدة؟

الأمير: عزيزتي أوطون بيبي، إنك تتدخلين فيما لا يَعنيك. أنا الذي أقرِّر ...

أوطون بيبي: أتدخل فيما لا يعنيني؟! إذن الحرملك أمرٌ لا يعنيني؟

الأمير: اِسمعيني يا عزيزتي...

أوطون بيبي: (تصرخ) جئتني بابنة خزّافٍ مجنونة. أُجهِّزُها للدخلة طول اليوم... أبذل كل ما بوسعي وكأنها ابنةُ الخليفة... أدلِّكُ ساقيها بالمسك والعنبر وأصبغ خدَّيها بلونِ الورد... ثم يتَّضح أنَّ هذا الأمر لا يعنيني! آ؟!

الأمير: لم اقصد أنْ..

أوطون بيبي: (ثائرةً) منذ خمسٍ وثلاثين سنةً وأنا أُشرف على تربية حريمك. وطيلةَ هذه المدة يسود الهدوء والنظام في الحرملك بفضلي أنا!

الأمير: إنني لا أنكر فضلك أبداً...

أوطون بيبي: والآن تقول لي إن هذا أمر لا يعنيني؟ شكراً لك! هل تعتقد أنك إذا كنتَ أميراً تستطيع أن تسخر وتهزأ من ابنة خان خوَى العظيم؟ إنك تخطىء يا عزيزي..

الأمير: (يائساً). ولكنْ إذا دخلتُ اليوم على الجارية الجديدة سأتحوَّل إلى حمار!

أوطون بيبي: إلى حمار؟ بسم الله الرحمن الرحيم، هل أنت في كامل عقلك؟

الأمير: هذا ما تقوله النجوم، وها هو حكيمنا الجديد حسين قوصلي يستطيع تأكيد هذا ...

أوطون بيبي: كلُّ حكمائك كذَّابون ونصَّابون! تتحوَّل إلى حمار!! إنهم يقولون لك هذا ليضحكوا عليك وينهبوك.

الأمير: لكنَّ الحكيم حسين قوصلي أثبت لنا معرفته وعلمه.

أوطون بيبي: علمه! أعرف هذا العلم. إذا كان عالماً كما يدَّعي فليشفِ جاريتك الجديدة! ليشفِها وعندئذٍ سنرى!

الأمير: وهل هي مريضة؟

أوطون بيبي: نعم، لقد أظهرتْ منتهى قلَّة الأدب والتربية وسمحتْ للشيطان بأن يسكنها. فليقُمْ حكيمك العالم الجديد بطرد إبليس من جسدها.

الأمير: هل تستطيع شفاءها أيها الحكيم؟

جحا: يجب أن أفحصها أوَّلاً.

الأمير: (باستنكار) تفحصها؟ تريد أن تفحصها؟!

جحا: مولاي الأمير، يكفيني النظرُ إلى يدها لأُشخِّص المرض من لون أظفارها.

الأمير: يدها؟ معقول! أعتقد بأنَّ النظر إلى يدها ليس فيه ما يضرُّ.

(أوطون بيبي تعود إلى الوراء، وتصرف حريم الأمير بحركةٍ من يدها ثم تغطّي غولجان بالوشاح. الأمير وجحا يدخلان الحديقة).

جحا: ما هو اسمها؟

الأمير: غولجان.

جحا: غولجان!

(غولجان ترتعش عند سماعها صوت جحا ولا تدري أهي في الحلم أم في اليقظة) (بسرعةٍ) غولجان، أنا الحكيم الجديد عند مولاي الأمير... هل تفهمين يا غولجان؟ أنا الحكيم الجديد! اسمي حسين قوصلي... هل تسمعين؟

غولجان: (باضطرابٍ شديد). أسمع... أسمعُك يا حسين قوصلي!

جحا: هاتي يدك لكي أُشخِّص المرض، اعطيني يدك! (يتناول يدها) ما الذي يؤلمك؟

غوجان: قلبي! قلبي يؤلمني من شدة الشوق والحسرة.

جحا: وما هو سبب حسرتك؟

غوجان: فرّقوني عمن أُحِبّ.

جحا: هل سمعتَ يا مولاي؟ لقد أمَضَّها الشوق بسبب الفراق.

غوجان: والآن أُحسُّ أن حبيبي قريبٌ منّي، ولكنْ لا أستطيع عناقه أو تقبيله...

أوطون بيبي: (بسرعة)... إذا كنتُ وردَة فاقطفني واشكلني على صدرك...

غوجان: ربّاه.. متى سيأتي اليوم الذي سيعانقني فيه حبيبي!

جحا: (بدهشة مصطنعة) يا سبحان الله! ما هذا الحب الكبير الذي أدخله مولاي الأمير إلى قلب الفتاة في هذه المدة القصيرة؟!

(الأمير يضحك إعجاباً)

اطمئنّي يا غوجان. حبيبك الذي تحبين قريب منك. إنَه يسمعك ويفكّر فيك ليلاً ونهاراً. ألستُ على حقٍّ أيها الأمير؟

الأمير: طبعاً، طبعاً. أنت على حق دائماً. غوجان حبيبك يسمعك.

جحا: الخطر محدق بك يا غولجان. ولكني سأنقذك.

الأمير: سينقذك، سينقذك دون شك!

غولجان: (تضحك وتبكي فرحاً). شكراً، شكراً لك أيها الحكيم، يا أحكم الحكماء وأمهر الأطباء! حبيبي بالقرب مني... كأني أسمع دقاتِ قلبه منسجمة مع دقات قلبي بإيقاعٍ واحد.

(جحا والأمير يخرجان من الحديقة)

الأمير: لم أكن أعتقد أنني على هذا القدر من الفتنة التي تسلب ألبابَ العذارى!.. لكنْ معها حق، إن نظرتها في محلِّها.

(غولجان ترقص من الفرح وتدور حول النافورة).

أوطون بيبي: (تلحق بالأمير) يا إلهي! لقد شفيت من مرضها!!

الأمير: سنكافئك اليوم بجزيل كرمنا أيها الحكيم الماهر والطبيب النادر!

أوطون بيبي: لأول مرة منذ خمس وثلاثين سنةً يظهر في قصركَ حكيم حقيقي!

ستار

الاستراحة الثّالثة

طبل وأبواق. يدخل إلى مقدمة المسرح موكب الأمير، خلفه الحمار ثم جحا، ثم الحاشية. من الجهة المقابلة يدخل بختيار وهو يحمل لُفافة من الورق يتدلّى منها ختم ضخم من الشمع الأحمر. خلف بختيار يسير الحارس المجدور حاملاً طبقاً من الأرُزِّ واللّحم، يليهما الحارسان البدين والنحيف وكلٌّ منهما يحمل وسادة حريرية عليها كيس من النقود. بختيار يفرد اللُّفافة.

بختيار: نحن حاكم بخارى الأمجد وأميرها الأوحد، الذي يحجب نورُه الشموسَ، نعلن في حضور أخينا حاكم مصر وسلطانها سيّدِ العصر الذي يحجب نورُه الاقمارَ، أننا قرَّرنا إضفاء اللطف والكرم على حكيمنا ومستشارنا العالم حسين قوصلي المحترم. وبناءً عليه وعليه بناء فقد قرَّرنا منحه الامتيازات الرفيعة

الأربعة المتعارفَ عليها في بخارى وفي كل أنحاء الإمارة، وذلك مقابل خدماته الجليلة ومداواته جاريتنا الجميلة.

(جحا يتقدَّم إلى الأمام بأشارةٍ من الأمير).

أوَّلاً: نأمر ذبَّاب الذباب الذي يقينا أذى هذه الحشرة اللعينة أن يؤدِّي نفس الخدمة للحكيم حسين قوصلي اعتباراً من تاريخه وإلى إشعارٍ آخر.

(الذبَّاب يلوِّح بالمروحة فوق رأس جحا. موسيقى).

الحاشية: (بصوتٍ واحد). يا للشرف العظيم! . . يا أشرف التشريفات بين التشريفات!

بختيار: ثانياً: نأمر كبير النراجيلية أنْ يؤدِّي نفس الخدمة للحكيم حسين قوصلي بدءاً من تاريخه ... وحتى إشعارٍ آخر.

(النراجيلي يدسّ المبسم في فم جحا. موسيقى. جحا يسحب نَفَساً فيكاد يختنق ويبصق جانباً دون أن يلاحظه الآخرون).

الحاشية: يا للتعطُّف الرفيع! ... يا تعطف التعطف! . . يا أعطف التعطف في التعطف!

بختيار: ثالثاً: تعبيراً عن كرم الضيافة المرعية في بخارى نمنح الحكيم حسين قوصلي طبقاً من الأرُزِّ واللَّحم الضَّان.

(الحارس المجدور يقدِّم الطبق لجحا).

الحاشية: يا للكرم الأعظم! يا أكرم الكرم! يا أكرم الكرم بين أكرم الكرم!!!

بختيار: رابعاً: وتعبيراً عن جودنا الفريد وسخائنا النادر فإننا نُنْعِمُ على الحكيم حسين قوصلي، أطال الله في عمره، بكيسٍ من الفضة وكيسٍ من الذهب بقيمة عشرة آلاف دينار.

(الحارسان البدين والنحيف ينظران إلى الكيسين بجشعٍ ويقدِّمانهما لجحا. موسيقى).

الحاشية: يا للجود الفريد! يا أجود الجود!.. يا أجود الجود بين الموجود من أجود الجود. بقيمة عشرة آلاف دينار غير مردود!...

(تقرع الطبول وتعزف الأبواق. يخرج موكب الأمير).

اللوحة السادسة

القلعة التي يُسْجَن فيها حسين قوصلي الحقيقي. الحكيم يقرأ في كتاب. يسمع صوت المفتاح في القفل ثم يفتح الباب ويدخل جحا حاملاً طبق الأرُزِّ باللحم. يخلع العمامة واللحية المستعارة.

حسين قوصلي: (يقفز من مكانه) أيها المحتال اللئيم! يا ابن الحرام! لقد خدعتَ القصر كله، ولكنِّي أقسم أنهم سوف يشنقونك جزاءَ ما اقترفت! اللّهمَّ... حَوِّلْ فمه إلى جُحْرِ ثعبان تضع فيه الحيةُ الرقطاء بيضّها المسموم! اللَّهمَّ.. ابعثْ له بحجرٍ يخترق رأسه ويخرج من أخمص قدَميه... اللَّهمَّ...

جحا: مَهْلَكَ، مهلك يا أبا علي... إنك تصرخ بفتور... لا تنس أنَّ الحرَّاس خبيرون بمثل هذه المسائل، وإذا ما انتبهوا إلى صراخك الهزيل فستقع في يد جلَّادٍ حقيقي. اسمع كيف يكون الصراخ. (يقترب من النافذة فيصرخ ويولولِ بشكلٍ يدفع الحكيم للابتعاد جانباً من الفزع).

حسين قوصلي: ومن أين لي بحنجرةٍ كهذه يا ابنَ الأبالسة؟!

جحا: هذه هي الطريقة المثلى لإنقاذك من الوقوع في يد جلاَّدٍ حقيقي. (يحرِّك يديه وكأنَّه يعصر رأسَ الحكيم بالحبل والعصا). الأنشوطة والعصا. (يلفُّ العصا الموهومةَ في الانشوطة الموهومة بعنفٍ وقسوة. مع كلِّ دورةٍ من يديه يصرخ الحكيم بكلِّ ما أُوتيَ من قوَّةٍ).

حسين قوصلي: (يكفُّ عن الصراخ). لقد انجرحت حنجرتي، عليكَ اللعنة. هل أنت راضٍ عن صراخي أيها الصعلوك الحقير، جَعَلَكَ المولى من نصيب عزرائيل؟

جحا: ما لك تصبُّ عليَّ اللَّعنات والشتائم أيها الفاضل؟ هل أسأتُ بشيء لاسم حسين قوصلي أو حقَّرتُ علمه؟ هذا الطبق الشهي من الأرزِّ باللحم هديةٌ من الأمير تعبيراً عن شكره للحكيم حسين قوصلي لأنه شفى جارية الأمير من مرض عُضال.

حسين قوصلي: (يكاد يختنق من الغضب) أنتَ شفيتَ جارية الأمير؟ وماذا تفهم في العلل أيها الجاهل النصَّاب، يا بهيمة يا حقير؟

جحا: أنا لا أفهم شيئاً في العلل التي يعرفها الأطباء ولكنِّي خبيرٌ في طباعِ النساء. ولهذا فمن العدل أن نقتسم فيما

بيننا هدية الأمير. هيَّا إلى المائدة يا عزيزي... قل لي بصراحة لو وقعتُ في يديك فهل كنتَ تعطيني وسادة ليِّنةً أُريح عليها عظامي وتقاسمني الأرزَّ باللحم؟

حسين قوصلي: لو وقعتَ في يديَّ لأجلستُك على الخازوق!

جحا: هذه هي الدنيا: العرفان بالجميل فيها نادرٌ ندرةَ الماء في الصحراء.

(طَرْقٌ على الباب. جحا يفتح الباب ويتحدَّث مع القادم من خلال شقٍّ الباب. حسين قوصلي يكفُّ عن المضغ وينتظر بترقُّبٍ).

(جحا يُغلق الباب ويقترب من الحكيم). أرأيت؟ لقد قلت لك إنَّكَ تصرخ بفتورٍ وها هي النتيجة!

حسين قوصلي: ماذا حصل؟

جحا: شعر الأمير بالتصنع في صراخك فأرسل كبير الجَّلادين، وهو الآن ينتظر خلف الباب.

حسين قوصلي: كبير الجلادين؟ لماذا؟

جحا: لا ليطعمك الأرز باللحم طبعاً. بل جاء ليذيقك مُرَّ العذاب.

حسين قوصلي: ليذيقني مُرَّ العذاب؟!

جحا: وبعد انتهاء التعذيب يحقُّ له أن يُجلسك على الخازوق!

حسين قوصلي: (يركع أمام جحا). أنقذني يا ابنَ الكرام!

جحا: لكنَّك قبل دقيقة كنت تقول لو وقعتُ في يديك ...

حسين قوصلي: كنت أمزح ... كنت أمزح معكَ يا شعُلةَ المعرفة وخلاصة الفطنة!

جحا: حسناً. . سأحاول إنقاذك. أُدخلْ تحت اللحاف وانخرط بالأنين. أمَّا أنا فسأقول للجلَّاد بأني قد عذَّبتك بما فيه الكفاية اليوم وآمل أن يقتنع بكلامي. ولكنْ عليك أن تُطلق أنيناً صادقاً ... من كلِّ قلبك.

حسين قوصلي: (وقد انعقد لسانه رعباً). سأحاول ... سأحاول! (يندسُّ تحت اللحاف ويبدأ بالأنين بشكلٍ حقيقي)

(جحا: يفتح الباب فيدخل القهواتي علي وينظر بتوجُّس إلى اللحاف الذي يغطِّي حسين قوصلي).

جحا: كيف أفلحتَ في خداع الحراس؟

علي: (يغمزه). قلت لهم إنّي أحضرت مسحوق أنياب الثعابين بناءً على طلب الحكيم حسين قوصلي. لقد جئتك في أمرٍ هامّ.

جحا: تكلَّمْ!

علي: المرابي الملعون جعفر فقد عقله تماماً. لقد جاء في
الصباح الباكر إلى بيت الأرملة المسكينة سعادات ...
هل تذكرها؟

جحا: وكيف لا أذكرها؟ إنها تعيش في بيتٍ قرب المقبرة ...

علي: بالضبط ...

جحا: وعندها ثلاثة أولاد.

علي: جاء إليها جعفر وطردها من البيت. وهي تعيش الآن
مع أطفالها الثلاثة في العراء تحت الشمس المحرقة.

جحا: أعتقد يا عليّ بأنَّ الجلوس تحت الشمس يضرُّ
بالأطفال. (يُخرِج كيس النقود من عبِّه).
كم يبلغ دَيْنُ الأرملة للمرابي؟

علي: مع الفائدة، مئتان وخمسون ديناراً.

جحا: (يعدُّ النقود). إعطِها هذه النقود لتسدَّ ما عليها من دَيْنٍ
للمرابي جعفر وتعود إلى منزلها.
(يهدأ الأنين تحت اللحاف).

علي: إنه ينصت ...

جحا: (بصوتٍ مرتفع موجِّهاً كلامه ناحية حسين قوصلي).
المجرم شيخ طاعن في السن وأخشى أن لا يحتمل أن
ندقَّ في أذنِه مسمارَ حدَّاد!

(يتعاظم الأنين تحت اللحاف).

علي: وبعد ذلك ذهب المرابي جعفر إلى صانع الطواقي مختار وطرده مع عائلته من البيت ...

جحا: أي مختار؟ ذاك الذي ينقصه في فمه سنَّان؟

علي: هو نفسه.

جحا: إنسان طيِّب. لقد قاسمني مرَّةً إبريقاً من الشاي. وهل دَيْنُهُ كبير؟

علي: ثلاثمئة دينار.

جحا: (يعدّ النقود) أعطها له.

علي: بعد ذلك قيَّد المرابي بالسلاسلِ الحجَّارَ جبران لأنه مَدينٌ له بتسعين ديناراً.

جحا: هاكَ أعطه المبلغ (يعدُّ النقود ويصرخ جهة حسين قوصلَي). أُفَضِّلُ أن نستعمل طريقة أخرى في تعذيبه، فنجلسه عارياً على قنفذٍ حيٍّ إلى أن يموت القنفذ! (يرتفع الأنين تحت اللحاف).

علي: ثم توجَّه المرابي إلى النحَّاس سعيد ...

جحا: لا تكملْ يا علي ... يبدو أنَّ عندك من الأخبار المحزنة ما يكفي، وأنا عندي من الأعمال ما يكفي أيضاً ...

خُذْ كيسَيْ النقود. إنهما يحتويان على عشرة آلاف دينار تكفي الجميع. وداعاً يا صديقي! (عند الباب). كلمة أخيرة. إذا قصدتك غولجان بعد هربها هذه الليلة فاسْتقبِلْها وخبِّئْها في مكانٍ أمين. (يقفل الباب).

حسين قوصلي: (ينسلُّ من تحت اللحاف) ذَهَبَ؟ الحمد لله!

جحا: كان يريد البدء في التعذيب فوراً. ولكنّي أقنعتُه بتأجيلِ العملية إلى الغد.

حسين قوصلي: (فَزِعاً) إذنْ، غداً سيدقُّ في أُذُنيَّ مسمار حدّاد؟

جحا: لا يا عزيزي، لقد قرّرنا احتراماً لسنّك اختيار طريقة أخرى لتعذيبك.

حسين قوصلي: أعرف، أعرف.. يا للعذاب الذي لا يطاق! غداً إذنْ عليَّ أن أجلس بمؤخِرتي العارية على قنفذٍ حيٍّ حتى يموت؟

جحا: هدّىء من روعك أيها الحكيم. آمل أن لا نضطرَّ إلى هذا. اسمعْ، إنَّ مدةَ سجنك تقترب من النهاية. غداً سأكونَ في مكانٍ بعيد... فالدروب والسهوب والجبال والوديان تدعوني منذ زمن بعيد. الأنهار في انتظاري

لأشربَ من مائها القُراح، والطيورُ الغرِّيدة أَعَدَّت أغانيها استعداداً للقائي ... لقد أطلتُ المقام في القصر، في هذا القفص الذهبي ... وأَمَضَّني الشوقُ إلى العالم الرحيب. طريقي يسير في اتّجاهٍ واحد فقط، إلى الأمام، عليَّ أن لا أنظر إلى الخلفً أو أن أتأسَّفَ على ما أخلِّفُ ورائي أو أن أخاف ممَّا ينتظرني ... هذا هو قدري! قد أستقبل صباحَ الغد في مكانٍ بعيد عن مدينة بخارى؛ أمَّا أنتَ فستشغل مكانكً في مجلس الأمير وسوف تتفنَّن في إيجاد السبل للقبض عليّ. (يلبس اللحية والعمامة) إذا لم نلتقِ بعد الآن فبلِّغ الأمير تحيَّاتي. قل له: «تحية للأمير العظيم من جحا نصر الدين»! (يخرج ويُقفلِ الباب خلفه).

حسين قوصلي: جحا نصر الدين؟! (يندفع ثائراً إلى الباب ويطرق عليه صائحاً). أيها النصَّاب الحقير! يا ثمرةَ الزِّنى! جعَلَكَ اللهُ تختنق بعظم في حلقك! اللَّهُمَّ اجعلْهُ مشنوقاً معلَّقاً بمصارين بطنه!

ستار

الاستراحة الرا.

قَرْعُ طبلٍ في مقدِّمة المسرح . يسوق الحارس النحيف الحدَّادَ يوسف وهو مقيَّد بالسلاسل ويدفعه في ظهره بالبلطة . ما يكادان يختفيان حتى يظهر المرابي جعفر حاملاً على ظهره حزمة ضخمة من البرسيم وكيساً من الشوفان .

جعفر: وامصيبتاه! (للمتفرِّجين) هل يوجد عندكم يا حضرات أوراق شجرة البنِّ الطازجة؟ هذا السلطان النهم يتقيأ كلَّ ما أقدِّمه له من الطعام وهو الآن يطالبني بأوراق هذه الشجرة اللعينة! من أين أحصل عليها ياربّ! (الطبل يقرع من جديد والحارس المجدور يقود السرَّاج محمَّد وهو مقيَّد) . أخيراً ألقوا القبض عليك أيها السرَّاج المخرِّب . شكراً لك أيها الحارس الطيِّب لأنك قبضت عليه!

الحارس المجدور: اِبتعدْ يا جعفر!

جعفر: ثلاثة أيام وأنا أبحث عنه كي أستـــردَّ منه دَيْنِي وهو يتهرَّب منِّي ...

الحارس المجدور: قلت لك ابتعدْ عن طريقي يا جعفر آغا. إنَّني لم أقبض عليه كرُمى لك.

جعفر: لم تقبض عليه كرُمى لي؟

الحارس المجدور: إنه أحد المتسترِّين على جحا نصر الدين. وسيْمثُل غداً مع بقيَّة المتواطئين أمام محكمة الأمير.

جعفر: لكنَّه مَدين لي!

الحارس المجدور: إنَّه الآن مدين للأمير! وإذا لم يقل أين جحا نصر الدين فسيخسر رأسه مقابل ديونه.

جعفر: (يتبعهما وهو يصيح) ولكنْ دَيْني أنا من سيدفعه لي بعد ذلك؟ (الحارس المجدور لا يردّ). سبحانَك يارب! ماذا أفعل إذا قطع الأمير رؤوس كلِّ المديونين لي البالغ عددهم ثلاثمئة وستةً وعشرين شخصاً؟ ستكون هذه نهاية العالم! يا لمصيبتك وخرابِ بيتك يا جعفر!! (يخرج وهو يئنّ. يقرع الطبل من جديد. الحارس البدين يدفع أمامه الخزَّاف نيازي وهو في الأغلال).

اللوحة السا. ّ

ديكور اللوحة الخامسة. نجومٌ ساطعة تتلألأ في السماء. جحا يقترب من باب سور القصر ويطرق عليه. تخرج أوطون بيبي من الحرملك وقد استيقظت لتوِّها وتفتح الباب. ترى جحا فتُسدِل الوشاح على وجهها.

أوطون بيبي: هذا أنت أيها الحكيم؟ ما الذي أتى بك في هذا الوقت المتأخِّر؟

جحا: (يقف مديراً لها ظهره). أمرٌ هامٌّ. جئت لأخبرك...

أوطون بيبي: (بدلال). إنَّك تدير لي ظهرك كي تثبت لي حشمتك وأدبك وعلمك. لكنِّي سبق واقتنعت في المرة السابقة بأنك أكثر الحكماء علماً وأدباً.

جحا: يسعدني سماع المديح من شفتي أنبل وأجمل نساء القصر! نعم، نعم أجمل امرأةٍ في القصر! هل تَعدِينني بألاّ تغضبي منِّي يا صاحبة السموّ؟ في المرة الماضية لمحتُ وجهك المنير بمحضِ الصُّدفة.

أوطون بيبي: آه! لقد احمرَّ وجهي.

جحا: يا للصدفة، والله بالصدفة. الذنب ليس ذنبي. بل ذنب عينيَّ. ألستِ غاضبة منِّي يا صاحبة السمو؟

أوطون بيبي: بالطَّبع لا ... فلو أنك تقصَّدت لاَختلفَ الأمر ... اِجلس يا أستاذ حسين ...

جحا: إني أبسطُ سجَّادة شكري تحت قدميك الصَّغيرتين (يجلس مديراً ظهره لها). جئت لأخبرك ...

أوطون بيبي: قل لي يا أستاذ حسُّونة، ألن تعتبر تصرُّفي وقاحة وتهوُّراً إذا ...

جحا: أعوذ بالله!..

أوطون بيبي: أنت غير مرتاح في جلستك، كما أنَّ هذه الوضعيَّة لا تتَّفق وتربيتك الرفيعة. وما دمتَ قد سبق ورأيتَ وجهي، فأعتقد أنه لا بأس في أن تدير إليَّ وجهك... فأنا لم أَعُدْ في ريعان الصِّبا.

جحا: (ينحني بقوَّة) جئت لأطلعك على خبرٍ بالغ الأهمية يتعلَّق بكِ شخصياً. فالنجوم تقول ...

أوطون بيبي: ماذا تقول النجوم؟ (بنفاد صبر) قل لي، قل لي بسرعة ...

جحا: تقول إنَّ جحا نصر الدين سيتسلَّل الليلة إلى حرملك الأمير.

أوطون بيبي: جحا؟ إلى الحرملك؟

جحا: هذا ما تقوله النجوم.

أوطون بيبي: لا، هذا مستحيل! فليحاولْ... أنا من سيلقّنه درساً لن ينساه في حياته!

جحا: واجبي أن أُحذّرك.. فالفاجر يتمتَّع بقدرةٍ خارقة، إذ ما إن يقع نظر المرأة عليه حتَّى يسلبها لبَّها.

أوطون بيبي: سحره هذا لا ينطلي عليَّ، لأنّي قد تخطَّيت الصِّبا.

جحا: لا تقولي مثل هذا الكلام. فهذا الفاسق يفضِّل النساء الوسيطات، ولا سيَّما ذوات الأصل النبيل.

أوطون بيبي: يا لقلَّة الحياء وانعدامِ الأدب!

جحا: لقد تسلَّل ذات مرة إلى حرملك أمير شيراز لينتهك شرف زوجة الأمير المسنَّة.

أوطون بيبي: زوجة الأمير المسنَّة؟ يا للفاسق! لا أفهم لماذا لم تعاقب السماء هذا المجرم الآثم حتى الآن وكيف تُطيق الأرضُ صبراً على مجرمٍ مثله!

جحا: (ينهض). اللَّهُمَّ إنِّي قد حَذَّرتك وقمت بواجبي.

أوطون بيبي: شكراً، شكراً لكَ أيها الحكيم، ولا تقلق عليَّ. فأنا أستطيع تلقين ذلك الداعر درساً لا ينساه! أستطيع (تختفي خلف باب السور وتسير في الحديقة وهي تردِّد بامتعاض: زوجة أمير شيراز المسنَّة... يا للفاسق! (تقترب من المرآة فتزوِّق حاجبيها وتدهن خدَّيْها بالمساحيق وتُسَرِّح شعرها بلَهْوَجة). زوجة أمير شيراز يا دنيء! يا لك من داعرٍ قليل الحياء!

(في هذه الأثناء يخلع جحا لحيته المستعارة وعمامته ورداء المنجم ويلفُّها كلَّها في صرَّة ثم يقترب من الباب ويطرق عليه بشدة). (برقَّة) مَنِ الطَّارقُ في هذا الوقت المتأخّر؟ أَنْسِيٌّ أم جنِّيٌّ؟

جحا: عاشقٌ تعيس طار لبُّه وانحنى ظهرهُ تحت ثِقَلِ الحبّ.

أوطون بيبي: (تفتح الباب). مَنْ أنت أيُّها الغريب؟ وما الذي جاء بك إلى هذه الديار؟

جحا: أبحثُ في الليل والنهار عن حبيبتي التي تسكن في هذا الحرملك.

أوطون بيبي: الحرملك؟

جحا: نعم، وقد تكون تحت هذا الوشاح؟ (يحاول رفع الوشاح).

أوطون بيبي: لا، لا! (تبتعد بدلال ليسبقها جحا إلى داخل الحديقة). لا شكَّ في أنَّك تمزحُ، وخيرٌ لنا أن نجلس تحت الشجر، نتحدَّث ونتسامر.

(جحا يجلس ويغنِّي).

(غولجان تسمع دعوة جحا فتمدُّ رأسها من باب الحرملك).

أوطون بيبي: لا داعي للغناء أيها الغريب! خيرٌ لنا أن نتسامر بهدوءٍ وننثر الكلمات كما يُنْثَرُ اللؤلؤ.

جحا: سَمْعاً وطاعة يا حبَّةَ الروح... بوَّابة قلبي مفتوحة.
وطريق حبيبتي مأمون ومفتوح، ومقهى عواطفي
يا فؤادي سيُخفيك عن عيون الأعادي!

أوطون بيبي: (تتنهَّد) يكفي، أرجوك. لقد قطعتَ نياطَ قلبي!

(غولجان فهِمتْ قصد جحا وتوجَّهت إلى البوَّابة).

جحا: آخ!! (يضع يده على صدره ثم يحاول التقاطَ شيءٍ تحت قدميه ليُبعِدَ انتباه أوطون بيبي)

أوطون بيبي: ماذا أصابكَ؟

جحا: قلبي. قلبي قفز من صدري! ها هو، ها هو! (وقد تأكَّد من خروج غولجان من البوَّابة بأمان). امسكيه! (يدسُّه في عبِّه). قلبي الآن في مكانه وحان موعد الانصراف.

أوطون بيبي: بهذه السرعة؟

جحا: لكنْ لو رآنا الأمير معاً...

أوطون بيبي: لا تَخَفْ أيُّها الغريب الجميل! لستُ من الصبًا بحيث يفكِّر ذلك الغبيُّ بالغيرة عليَّ (بدلالٍ) لم أَعُدْ صبيَّة...

(الحارس المجدور يدسُّ رأسه في باب البوَّابة المفتوح فيجمد إذ يرى جحا هناك ثم يركض مبتعداً وفمُهُ مفتوح من الدهشة). هل تظنُّ أنّك أمام فتاة صغيرة؟ انظر! (ترفع الوشاح بكبرياء لتكشف عن وجه اختلطت أصباغه).

جحا: آه.. (يغمض عينيه)، جمالُكِ يبهرِ الأبصار! (يغنِّي)

شفتانِ كي أدعوكِ باسمِكْ

عينانِ كيما لا أراكِ

فلا أراكِ

أوطون بيبي: أرايت؟ (تُمسك جحا من كُمِّه وتردِّد بعذوبة) إذا كنتُ وردةً فاقطفني واشكلْني على صدرك ليخفق قلبُك كجناحِ البلبل الشادي ...

(جحا يتراجع نحو الباب)

(تلاحقه) وإذا كنتُ عصفوراً صغيراً فكنْ عشِّي لأحتمي بك من رياح النوائب ...

(يندفع من خلال البوابة كلٌّ من الأمير والحرَّاسِ الثلاثة).

الحارس المجدور: (للأمير). الجائزة لي!

أوطون بيبي: وإذا كنتُ عنقودَ عنبٍ فكُلْني بالهناء والشِّفاء يَزُلْ عنك العناء والشَّقاء ...

(يندفع الحرّاس إلى الحديقة فيراهم جحا ويقفز داخل باب الحرملك. يختبىء هناك).

(الأمير والحرَّاس يندفعون خلفه. يُسْمَعُ من الداخل زعيقَ الحريم). (بعد لحظةٍ صمت تقول غاضبة) ياللفضيحة! تنتهكون حرمة الحرَملك يا سفلة! سأريكم جزاء فِعلتكم! (تنزع الوشاح عن وجهها وتندفع خلفهم).

(يُسْمَعُ الصرُّاخ من داخل الحرملك ثم يقفز جحا من النافذة وقد ارتدى من جديدٍ ملابس الحكيم حسين قوصلي، وفي

نفس اللحظة يخرج الأمير من باب الحرملك ويسقط على ظهره بدفعة شديدة من يدي أوطون بيبي).

الأمير: (ينهض صارخاً). أرأيتَ أيها الحكيم! إلى أيِّ دَرَكٍ حلَّ الانحلال في دولتنا إذا كنَّا لا نأمن على حريمنا من شرِّ جحا نصر الدين!! (يتلفَّت بخوف) ألا يمكن أن يكون مختبئاً هنا في إحدى الزوايا؟ انظرْ معي...

جحا: (يبحث جاهداً وهو يرفع السجَّادات ويقلِّب الوسائد فينظر تحتها ثم يخبط بالعصا داخل البحرة ويرفع غطاء الإبريق). إطمئنَّ يا مولاي فليس هناك أحد غيرنا في هذا المكان.

(يفتح باب الحرملك على مصراعيه. أوطون بيبي تطرد الحرَّاس واحداً بعد آخر ثم تظهر هي نفسها على العتبة).

أوطون بيبي: (للأمير) ماذا تفعلون هنا؟ هل نسيتَ أني أنا الناظرة في الحرملك؟

الأمير: لقد أعفيتُك من هذا المنصب..

أوطون بيبي: ماذا؟

(الأمير يبتعد عنها).

أعفيتني يا قُرَّةَ عيني؟ (تكشف الوشاح عن وجهها).

(جحا يُدير وجهه، والحرّاس يُطرقون برؤوسهم).
يبدو أنَّكَ نسيت مع مَنْ تتحدَّث!

سأعلّمك أصول الأدب في الحال! سأخطُّ غداً رسالة إلى والدي خان خوَى ليأتيكَ بجيشه الجرَّار! وعندئذ سأمتّع نظري بما يتبقَّى من مدينتك بخارى هذه! ليكنْ في علمك ... غداً سأكتب لوالدي عن قلَّة أدبك! . .
(تخرج وتُغلق باب الحرملك خلفها).

الأمير: (يمسح العرق عن جبينه). أين اختفى الملعون؟

الحارس المجدور: لا وجود له في الحرملك يا مولاي. . لقد هرب.

الأمير: إني أرى أنَّ رؤوساً قد أينعت وحان قطافُها!

أوطون بيبي: (تمدُّ رأسها من خلال الباب). بعد أسبوعين ستكون جيوشُ والدي هنا ... وسوف ترى عاقبة تنحيتي عن منصبي! بلمح البصر سيمحون بخارى عن وجه الأرض. في لحظةٍ واحدة. (تصفق الباب).

الأمير: أوف! . . (يجلس) قل لي أيها الحكيم، هل سبق لك أن تزوَّجت!

جحا: لا يامولاي.

الأمير: حقّاً ليس لك مثيل بين الحكماء!

أوطون بيبي: (تمدُّ رأسها). وبعد شهر على أكثر تقدير سيعلَّق رأسكَ في خوِىَ عند باب القصر! لا تنسَ هذا. (تصفق الباب).

الأمير: (يلاحظ أنَّ جحا ينظر إلى السماء باهتمام). ماذا عساك ترى هناك أيها الحكيم؟

جحا: (فرِحاً) انظرْ يا مولاي إلى النجوم.. لقد غيَّرت مواقفها الآن وأصبح في وسعك أنْ تدخل على جاريتك غولجان!

الأمير: يا للخبر السعيد! سندخل عليها في الحال! (يطرق باب الحرملك بوجل). يا صاحبة السمو والرفعة أوطون بيبي...

أوطون بيبي: (تفتح الباب). ماذا تريد أيضاً؟

الأمير: انسي ما حصل... لقد أَعَدْتُكِ إلى منصبك السابق... اذهبي إلى الجارية غولجان وأَخبريها أنه آن الأوان فبُلْبُلُ قلبي يتململ حبّاً!

أوطون بيبي: خيرُ ما تفعل! (تختفي خلف الباب).

الأمير: (سعيداً) شكراً للنجوم الَّتي تحلُّ مشاكل الأمراء وتتنبأُ لهم بالسرَّاء والضرَّاء!

جحا: (يردد) شكراً للنجوم تدور في أفلاكها وتحلُّ مشاكلَ النساء!

الأمير: شكراً للنجوم تحمل الخلاص لأصحاب التاج الأبرارْ من عواقب الأقدارْ!

جحا: شكراً للنجوم التي تساعد العشَّاقْ على الوئام والوفاقْ!

الأمير: شكراً للنجوم التي تحفظ السلطان والأمير والخان من التحوُّل إلى حميرٍ في هذا الزمان!

جحا: شكراً للنجوم حتى لو حوَّلت أكبر الكبارْ إلى بهيمةٍ أو حمارْ!

الأمير: شكراً للنجوم! . .

(تندفع أوطون بيبي خارجة من الحرملك).

أوطون بيبي: يا له من نصَّاب ... محتال! لن أغفرِ له هذه الفعِلة ما حييت!

الأمير: (بخوفٍ) عزيزتي أوطون بيبي ...

أوطون بيبي: بوَّابة الحبّ! ومقهى العواطف. يا للمحتال!

(لجحا). كيف قلتَ لي إنه يُفَضِّل النساءَ النبيلات المتقدمات في السن؟! ها قد وقع في غرام فتاةٍ بنتِ خزّاف!

الأمير: أخبريني، كرُمى للّه، ماذا حدث أيضاً؟

أوطون بيبي: (للأمير). إذا لم تُلْقِ القبض على جحا نصر الدين. فلا تَلُمْ إلاَّ نفسكَ! اِقبضْ عليه واقطعْ رأسه حالاً.

الأمير: ماذا حدث؟

أوطون بيبي: لقد خطف خزّافتك!

اللوحة الثّامنة

ديكور اللوحة الرابعة. الأمير جالس على العرش تحيط به الحاشية. على يمينه جحا وعلى يساره حمار جحا. يقف بين يدي الأمير كلٌّ من نيازي ومحمد ويوسف يحيط بهم الحراس المسلحون.

بختيار: بسم الله الرحمن الرحيم. وَزَنَ حاكم بخارى وأميرها الأوحدْ بميزان العدالة الأمجدْ ذنوبَ المجرمين الذين تستَّروا على جحا نصر الدين، فتفضَّل وقرَّر ما يلي:
الخزّاف نيازي الذي خبّأ المجرم المذكور أعلاه فأطعمه مدَّة طويلة وسقاه، يُحكَمُ عليه بالإعدامْ بقطع الرأس عن الهامْ.

الحاشية: يا للحكمة! يا أحكم الحكماء! يا أحكم الحكماءْ من الماء إلى الماءْ! يا أحكمَ أميرٍ بين أحكم الأمراءْ!

بختيار: أمَّا باقي من تواطأ وتكتَّم على جحا نصر الدين، فعقوبتهم الأولى هي حضور إعدام الخزّاف ليكون عبرة لهم بانتظار أشدِّ عقابْ تطير له الألبابْ!

الحاشية: أيُّها العادلْ... يا سيفَ الإنصاف الماثلْ... يا قاضي القضاةْ... يا أحكمَ الثّقاتْ!

بختيار: وإذا ما دلَّنا أحدُ المجرمين على مخبأ جحا نصر الدينْ شمله العفو مع جميع المتَّهمينْ وسقطت عنهم الأحكامْ ونجوا من الموت الزؤامْ، فما رأيك أيها الحدَّاد في أن تكشف أنت عن مخبأ جحا؟

يوسف: لا.

بختيار: وأنتَ أيها السرَّاج؟

محمد: أنا؟ أنا؟ (ينظر برعبٍ، تارةً إلى جحا وتارةً إلى الجلاَّد).

بختيار: مولانا الأمير بانتظار الجواب!

محمد: نعم... الأمير بانتظار الـ... (وقد تمالك نفسه) لا. لن أقول!

بختيار: (يشير للجلاَّد) وأنتَ أيها الخزَّاف ألا تدلُّنا على مكانِ جحا نصر الدين؟

(الجلاَّد يرفع السيف)

نيازي: لا! هذا رأسي فاقطعوه! (ينحني رأسه الأشيبَ تحت السيف).

جحا: (يصرخ) ليأمُرْ مولايَ الأمير بإيقاف الإعدام وأنا آتيه بجحا في الحال:

(يلتفت الأمير إليه متعجِّباً ويُعطي إشارةً للجلاَّد فيُنْزِل السيف).

مولايَ الأمير... هل من العدل أن يُعْدَمَ هؤلاء المتكتِّمون الثانويُّون قبل إعدام المذنب الأوَّل والأكبر الذي يعيش عنده الآن جحا فيطعم المجرمَ ويسقيه ويحيطه بكلِّ أنواع الرِّعاية.

الأمير: أنت على حقّ. إذا كان لمثل هذا المتسترِّ وجودٌ فيجب قَطْعُ رأسه أوَّلاً.

جحا: ولكنْ إذا عفا مولايَ الأمير عن المتسترِّ الأساسيّ لسببٍ من الأسباب ولم يأمر بإعدامه فهل يكون من العدلَ في شيء حينئذٍ إعدامُ هؤلاء الثانويِّين؟

الأمير: إذا عفونا عن المتسترِّ الأساسيّ فسنعفو طبعاً عن هؤلاء أيضاً! ولكنْ لماذا نعفو عنه؟

دلَّنا عليه لنأمرَ بقطع رأسه فوراً.

جحا: قال مولاي الأمير إنَّه إذا لم يعدمِ المتسترِّ الأساسي الذي سأكشفه الآن، فإنَّه سيعفو عن هؤلاء، أليس كذلك؟

الأمير: وَعْدُ الأميرِ دَيْنٌ نافذ!

جحا: المتسترِّ الأساسي على جحا نصر الدين ...

الأمير: مَنْ هو، قُلْ أيها الحكيم!

جحا: المتسترِّ الأساسيّ هو ... أنتَ أيها الأمير! (يُلقي العمامة وينزع اللِّحية المستعارة).

يوسف: (راجياً) توقَّفْ!

نيازي: لا تفعلْ!

الأمير: جحا!

الحاشية: جحا!

الحرَّاس: جحا!

جحا: (للأمير) فلتُعْطِ أمركَ الآن للجلاَّد بقطعِ رأسك!

(الأمير يقوم بحركةٍ غاضبة. الحرَّاس ينقضُّون على جحا ويقيِّدونه).

لكنَّ الأميرَ وعد بالعفو عن المحكومين، فأين وَعْدُ الأمير؟

الأمير: إنَّنا عند وعْدنا وعهْدنا. اذهبوا إنَّكم طلقاء!

(الحرَّاس يفكُّون وِثاق الحِرَفيِّين ويدفعونهم خارج القاعة).

أخيراً وقعتَ في أيدينا! في هذا اليوم بالذات سيضع

الجلاَّد حَدّاً لحياتك الفاجرة ولم يبقَ علينا إلا اختيارُ طريقة الإعدام. هل جميع الحكماء هنا؟

بختيار: جميعهم هنا يا مولاي!

جحا: اِسمحوا لي أنْ أتجرأَ فألفت نظركم إلى أنني لا أرى بينهم حسين قوصلي... الحكيم القادم من بغداد!

الأمير: اخرس!..

جحا: لقد خلعتُ له أسنانه بالكمَّاشة وانتحلْتُ اسمَه... وثقبتُ لسانه بمسلَّةٍ حامية ليسكت، ولكنَّه لا يزال مُصِراً على أنه هو حسين قوصلي الحقيقي.

الأمير: حسين قوصلي؟ لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلا بالله! سجينُ القلعة... أحضِروه إلى هنا كي يُمتِّعَ نظره برؤية هذا المجرم!

(الحارس المجدور يغادر القاعة).

(للحكماء) اِقترحوا طريقةً لإعدامه.

الحكيم ذو اللِّحية المسترسلة: أيُّها البدرُ يا شمسَ الزمانْ وسيِّدَ العصرِ والأوانْ! مادام المجرم الماثل بين أيدينا إنساناً من بني البشرْ وليس قطعةً من الحجرْ فإنَّ جسده يتألَّفُ من مئتين وأربعين عظماً ومن ثلاثمئة وستِّين عَصَباً تُحرِّك الرئتين والكبدَ والقلبَ والطِّحالَ والمرارة. وبناءً عليه

وعلى تعاليم الأنبياء صلوات اللّه عليهم فإنّي أسمح لنفسي وأقول: إذا حرَمْنا الإنسانَ من دمه فإنّه لا بدّ صائرٌ إلى الموت.. لهذا أعتقد بأنّ أفضلَ طريقةٍ لإعدامه هي قَطْعُ رأسه!

(يدخل حسين قوصلي ويلقي بنظرةٍ غاضبة على جحا ثم يجلس في المكان الذي يشير إليه بختيار).

جحا: (بهدوء). لقد سبق للسلطان التركي أن قطع رأسي!

الأمير: هذا صحيح! لقد سبق لأخينا السلطان التركي أن قطع رأس هذا الصعلوك، ومع ذلك لا يزال حيّاً! لا بدّ من إيجاد طريقةٍ أخرى... مضمونة!

بختيار: أَنشنقه يا مولاي؟

جحا: على الرغم من أنّ الزمن السيِّء قد غطّى رأسك بالفضّة يا كبيرَ الوزراء، إلاّ أنّه لم يتَعَدَّ شعرك ولم يجعل ما في داخل رأسك ذهباً. أنت تعرف أنه سبق لخليفة بغداد أن شنقني أيضاً.

الأمير: إنه نصّاب خطير يحتال حتى على المشنقة!

الحكيم ذو العمامة الهائلة: ربّما نسلخ جلده!

جحا: هذا ما فعله بي ذات يوم خان خوَى.

الأمير: إنَّ ما يعلو مناكبكم ليس رؤوساً آدميَّة، بل قرعات فاسدة! أعتقد أنَّ الحلَّ الأمثل موجود في جعبة الحكيم حسين قوّصلي المبجَّل الذي عرَّضه هذا المجرم لأقصى أنواع التَّعذيب!

حسين قوصلي: (ينحني للأمير ويتوجَّه بالكلام إلى جحا). قل لي يا هذا. .

(جحا يغمز الحكيم ويأتي بحركةٍ في الهواء وكأنَّه يبرم العصا الموهومة ضمن الأنشوطة. حسين قوصلي يُصدر صرخةً لا إرادية ثم يتمالك نفسه وينفخ على كتفيه كأنَّه يطردَ الشيطان ثم يتابع حديثه مع جحا).

قل لي يا هذا، هل سبق أن أغرقوك؟

جحا: (بعتاب) لقد كنتُ كريماً معك أيها الحكيم فلماذا تقترح قتلي غرقاً؟

حسين قوصلي: (ببكاء) إنها الطريقة المثلى. يجب تغطيس هذا الدَّعيِّ الجاهل بالماء السائل مدةً طويلة.

الأمير: فلْنغرِقْه سراً. . في الليل تحت جنح الظلام.

حسين قوصلي: تقول الكتب أيضاً يا مولاي إنَّ الدُّهاة أصحابُ حيلة واسعة. لهذا أقترح إغراق هذا الداهية بعد وضعه في كيس يُحكَمُ ربطه فلا يُفلِح بالفِرار قبل تنفيذ الحكم فيه.

الأمير: لا مثيل لك بين الحكماء! (للحرَّاس). أدخِلوا جحا في كيسٍ واربطوه جيِّداً.

(الحارس المجدور يخرج ليُحضِر الكيس. يظهر جعفر وهو يئنُّ تحت ثِقل سلَّة الفواكه).

جعفر: (ينحني). السلام على أمير بخارى العظيم وسلطان مصر الفهيم!

الأمير: لقد تماديتَ اليوم بالاستهانة يا جعفر فتأخَّرتَ في إحضار الطعام لأخينا الحبيب..

(يلتفت إلى الحمار ويتجمَّد فاغراً فاه من الدهشة).

لكنَّ هذا مجرَّدُ حمارٍ ولا يمتُّ بصلةٍ إلى السلطان عبد الله!!

الحاشية: (يتهامسون) حمار.. وليس سلطاناً!!

جحا: نعم، هذا حماري.

جعفر: (يقفز من الغضب). حماره؟! إنَّه حماري! يشهد اللَّه أنَّي دفعتُ ثمنه لهذا المحتال أربعمئة دينار كاملة ولم أحصل على قرش واحد من تلك النقود التي تنمو في أذنيه! (للحمار) هل تسمع أيها الصعلوك؟ إنه حماري! حماري! (للأمير). هذا الحمار مُلكي أنا!

الأمير: خذْه وانصرف من هنا حالاً!

جحا: وداعاً يا حماري المخلص، الوداع يا أشهب!

(يدخل الحارس المجدور. الحرَّاس يبدأون بإدخال جحا في الكيس).

(يغنِّي بقوَّةٍ وجرأة):

وغزالٌ يهرب من كفِّي

ويفحُّ هنا ثعبانْ

والموتُ رقيبٌ يتبعُني

ما دمتُ أنا الإنسانْ!

(الحرَّاس يرفعون الكيس فوق رأسه. يُفلِح جحا بإخراج رأسه من الكيس).

لا خوفَ، أنا خالدْ

أبداً أبداً طولَ الدهرِ

فأنا إنسان.

(الحرَّاس يدسُّون رأسه في الكيس ولكنَّه يُفلِح في التملُّص من جديد)

مادمتْ أنا الإنسان.

(الحرَّاس يربطون الكيس فوق رأسه).

الاستراحة الخامسة

يظهر الحارس المجدور في مقدِّمة المسرح. وعندما يتأكَّد من خلوِّ المكان من أيّ إنسان يدقُّ على درعه معطياً الإشارةَ المتَّفق عليها. الحارسان البدينُ والنحيفُ يُحضِران الكيس الذي بداخله جحا.

جحا: (من داخل الكيس) أيها الجنود الشجعان! انتظروا دقيقةً واحدة! أريد أن أُصلِّي صلاتي الأخيرة قبلَ الموت.

(الحرَّاس يضعون الكيس على الأرض)

الحارس البدين: صلِّ... وبسرعة!

جحا: (في الكيس). اللَّهُمَّ أَلهِمْ مَن يجد النقود التي طمرتها وتبلغ عشرة آلاف دينار..

(الحرَّاس يتبادلون النظر)

أَلْهِمْهُ يارب أن يقدِّم ألفَ دينار منها لإمام المسجد كي يصلِّي على روحي مدَّة عام!...

والآن أيها الميامين، أغرقوني. إنّي أُسَلِّم روحي لربِّ العالمين!

(الحارس المجدور يبدأ في حلِّ رباط الكيس على عجل).

الحارس البدين: ماذا تفعل؟ سيقطع الأمير رؤوسنا!

الحارس المجدور: (هامساً) سنحتال على جحا... لقد رأيتَ بنفسك كيف أعطاه الأمير كيسين من النقود.

(يظهر رأس جحا من الكيس)

(بلطف) قل لنا أين خبَّأت النُّقود. نقدِّم لإمامِ الجامع لا ألف دينار بل خمسة آلاف بالكامل!

جحا: أين نحن الآن؟

الحارس المجدور: عند البوَّابة الشرقيَّة للمدينة.

جحا: لتكنْ إرادة المولى العليِّ القدير. النقود إذنْ في مكانٍ قريب من هنا.

الحارس: (وقد استولت عليهم حُمَّى الجشع) أين، أين النقود؟

جحا: في مكان قريب من هنا، يوجد بيت على سطحه كثير من الأواني الفخَّاريَّة.

الحرَّاس: الأواني الفخَّاريَّة؟

(ينطلقون في مختلف الجهات)

الحارس المجدور: (يُلقي نظرةً إلى ما وراء الستار) ها هو، هذا هو البيت!

الحرّاس: (يركضون نحوه) نعم.. إنه هو!

جحا: تعبرون الساحة ثم تتسلّقون الحائط المرتفع...

الحرّاس: (يردّدون كالتّلاميذ) نتسلّق الحائط المرتفع...

جحا: في باحة الدار ثلاث شجيراتِ وردٍ على شكل مثلّث...

الحرّاس: على شكل مثلّث...

جحا: لقد طمرتُ تحت كلِ شجرةٍ من أشجار الورد الثلاث، ثلاثةَ آلاف وثلاثمئة وثلاثة وثلاثين ديناراً وثلث الدينار.

الحارس المجدور: (فَرِحاً) ها، ها!

الحارس النَّحيف: لنذهبْ بسرعة...

(الحرّاس يربطون الكيس).

الحارس المجدور: (للبدين). اِحرسْه ونحن سنُحْضِر النُّقود.

الحارس البدين: ولماذا أنا؟ ليحرسْه هو!

الحارس النحيف: آهـا ... لتتـقـاسـمـا النقـود هنـاك بـدوني أليس كذلك؟!

الحارس المجدور: (للبـــدين) ابقَ هنا ولا تَخَفْ. حـــصتُّك محفوظة. لن تستطيع بهذا الكرش أن تتسلّق الجدار.

(الحارسان المجدور والنحيف يختفيان بسرعةٍ خلف ستار يرتفع. بعد ذلك نراهما هناك).

اللوحة التّاسعة

ديكور اللوحة الأولى. الوقت ليل. الحارسان المجدور والنحيف في منزل نيازي. الحارس البدين يزفر وينظر في إثرهما مرتاباً، ثم يبدأ بالحركة جيئةً وذهاباً أمام الكيس بعصبية.

جحا: (مِن داخل الكيس). يسيران ... يسيران ... يسيران ... ها قد وصلا!

(الحارس البدين يريد أن يندفع ليلحق بالحارسين)

إنَّهما يتسلَّقان الحائط ... يتسلَّقان ... يتسلّقان ... أخيراً نجحا في التسلّق!

(الحارس البدين يتنهَّد بصوتٍ مرتفع)

يحفران ... يحفران ... يحفران ... وجدا النقود! الحمد لله!

الحارس البدين: لقد تأخَّرا كثيراً ...

جحا: يبدو أنهما يخبِّئان النقود في مكانٍ آخر، وغَداً ستأتون أنتم الثلاثة لأخذها.

الحارس البدين: (يزفر بصوتٍ مرتفع وقد استولى عليه القلق ثم يتصنَّع التَّثاؤب) آهٍ! . لقد أحسست بشيءٍ من التعب ... سأغفو هنا على العشب ريثما يعودان.

(يخرج على رؤوس أصابعه ويتسلَّل عبر البوَّابة ... جحا يبدأ يتحرَّك داخل الكيس محاوِلاً الإفلات دون جدوى. يدخل جعفر).

جعفر: (وقد رأى الكيس). كيس! . (ينخز الكيس بالعكَّاز فيسعل جحا). إيه! في داخله إنسان؟

جحا: طبعاً إنسان ... وما وجهُ الغرابة؟

جعفر: كيف ما وجهُ الغرابة! لماذا دخلت في الكيس؟

جحا: مادمتُ قد دخلتُ فهذا يعني أنَّني دخلتُ لأمرٍ ضروريّ.

جعفر: وهل أدخلوك في الكيس عنوةً؟

جحا: وهل كنتُ أدفع ستمئة دينار لأدخل الكيس عنوة؟

جعفر: ستمئة دينار؟

جحا: سأشرح لك كلَّ شيء يا عابر السبيل شريطةَ أن تنصرف فوراً فلا تضايقْني أكثر ممَّا فعلت. تعود ملكيَّةُ هذا الكيس لأحد الأعراب... وهو ليس كيساً عادياً بل هو كيس سِحريّ يعيد لمن يجلس فيه أشياءه المفقودة. لقد سرق اللصوص ملابسي البارحة وبعد أن جلستُ في الكيس ساعتين عارياً عادتْ إليَّ عمامتي وجبَّتي وزنَّاري!

جعفر: ما دامت قد عادت إليك أشياؤك المسروقة فلماذا تستمرُّ في الجلوس داخل الكيس

جحا: لأنِّي دفعت أجرة أربع ساعاتٍ مقدَّماً.

جعفر: أيها الإنسان الطيّب! لقد أضعتُ حماراً تنمو النقود في أذنيه!

جحا: هل تمزح يا عابر السبيل؟

جعفر: بل أقول الحقّ. وأنا مستعدٌ لدفع ثلاثمئة دينار للجلوس مدَّةَ الساعتين الباقيتين في الكيس إلى أن يعودَ إليَّ حماري الضائع.

جحا: هل توافق على الدفع مقدَّماً؟

جعفر: أوافق، أوافق! (يحلُّ رباط الكيس فيخرج جحا وقد غطَّى وجهه بكُمِّ الجُبَّة. المُرابي يدفع له النقود بسرعة. ويندسُّ في الكيس)... (بانتصار) آه... أيُّها الحمار الملعون... أخيراً ستقع...

جحا: (يربط الكيس). سيهبط عليك ثلاثةٌ من الجان ويسألونك: أين خبَّأت العشرة آلاف دينار؟» يجب أن تردَّ عليهم بالتعويذة السحرية التالية: «من يحمِلْ درعاً من النحاس بين يديه، يحملْ رأساً من النحاس على كتفيه... قبِّلوا حماري تحت الذَّنَبِ بين فخذيه». حفظتَها؟

جعفر: (يردِّد) من يحمِلْ درعاً من النحاس بين يديه، يحملْ رأساً من النحاس على كتفيه.. صحّ؟

جحا: صحّ، صحّ! «قبِّلوا حماري تحت الذنب بين فخذيه» سيسبُّك الجان ويضربونك ولكن عليك أن تكرِّر التعويذة السحرية فيردُّون إليك حمارك الضائع!

(يذهب إلى منصَّة المقهى فيستلقي عليها ويُغطِّي نفسه باللِّحاف).

(يهرع الحراس)

الحرّاس: (يتنفّسون بصعوبة). ها أنت أيها الصعّلوك! لقد فتّشنا كلَّ الشجيرات فلم نجد شيئاً! تكلّمْ يا ابن الحرام! أين خبّأتَ العشرة آلاف دينار؟

جعفر: من يحملْ درعاً من النحاس بين يديه يحمِلْ رأساً من النحاس على كتفيه ...

الحرّاس: ماذا؟

جعفر: قبِّلُوا حماري تحت الذنب ... بين فخذيه!

الحراس: (بغضب جامح) خدعتَنا أيها السافل والآن تضحك علينا؟! (ينهالون عليه ضرباً).

جعفر: من يحمِلْ درعاً من النحاس بين يديه، يحملْ رأساً من النحاس على كتفيه ... قبِّلُوا حماري تحت الذنب بين فخذيه ...

(الحرّاس يرفعون الكيس ويلوّحون به فوق البحيرة)

من يحملْ درعاً من النحاس بين يديه، يحملْ رأساً من النحاس على كتفيه ... قبِّلُوا حماري تحت الذنب بين فخذيه.

(الحرّاس يُلقون الكيس في البحيرة وينصرفون. تظهر غولجان ونيازي والحرفيّون).

علـي : لا تُعاندي يا غولجان . لقد اقترب الفجر . عليكما أنتِ ووالدُك أن تغادرا المدينة ... فإذا قبضوا عليكما ...

غولجان: لا . لن أغادر المدينة قبل رؤية جحا .

علـي : كلُّ القهواتيَّة في بخارى ساهموا في شراء حصانين لكما كي تهربا فلا تعاندي!

غولجان: لا ، لا! عندي إحساسٌ بأنَّ جحا لا يزال حيّاً وسوف نراه ونسمعه من جديد .

(يظهر المنادي) .

المنادي: أيُّها المؤمنون اسمعوا وعُوا . . حاكمُ بخارى وأميرُها العظيم يحيط الرعيَّة علماً بأنَّه في هذه الليلة البهيّةِ نُفِّذ بالفاسق الكبيرْ والمجرم الخطيرْ ، ناشرِ الفوضى والفسادْ ، معكِّرِ النِّظام وسكينةِ العبادْ جحا نصر الدين حكمُ الإعدام غرَقاً فألْقِيَ بهِ إلى الماء في كيسٍ أُحكِمَ ربطُهُ ...

(المنادي ينصرف . الجميع يتسمَّرون في أماكنهم . فترةُ صمت) .

علـي: فَلْنُصَلِّ على روحه أيُّها الأصدقاء! كانت روحه الطاهرة نوراً ودفئاً لنا جميعاً! إنَّه لم يعرف المعصية

أبداً! لم يَخُنْ صديقاً ولم يُؤْذِ طفلاً، وما توانى عن مساعدة امرأة ضعيفة! لقد كنتَ قادراً على حبِّ الناس يا جحا ولهذا فإنَّ الله سيفتح لك أبواب الجنَّة.

جحا: (يخرج من تحت اللحاف). لقد كنتَ عاصياً كبيراً يا جحا! ارتكبتَ كلَّ الذنوب التي يمكن للإنسان ارتكابُها على الأرض! ...

(يسمع الحرفيُّون الصوتَ المألوف. يتفرَّقون متلفِّتين بحذر).

لم تُراعِ الصومَ في رَمَضانْ، وشربتَ الخمر الحرامَ بالدِّنانْ! سخرتَ من الأمراءْ وعذَّبتَ الحكماءْ، وتسلَّلتَ في الحرملك إلى المسنَّات الصالحات فأغويتَهُنَّ بالموبقاتْ! وحين ساقوكَ أخيراً إلى الإعدامَ جزاءَ ما ارتكبتَ من المعاصي والآثامْ، تجرَّأتَ على الهربِ حتَّى من عزرائيلْ فيا لَبِئْسَ ذنبك الثَّقيلْ...

الحِرفيُّون: (بدهشةٍ عظيمة) جحا... جحا نصر الدين!!!

غولجان: (تلقي بنفسها عليه) جحا العزيز؟!

الحرفيون: جحانا الحبيب؟!

(يتنقَّل جحا من عِناقٍ إلى عناق).

نيازي : حيٌّ تُرْزَق؟ ونحن كنّا نبكي عليك!

جحا : تبكون عليَّ؟ يا سُكَّان بخارى الطيِّبينْ، إنكم تجهلون جحا نصر الدينْ إذا كنتم تعتقدون أنه سيكون يوماً في عداد الميِّتينْ! لقد استلقيتُ لأستريح قليلاً ... فسارعتُمْ إلى الظَنِّ بأنَّني سلَّمْتُ الوديعة للّهِ ربِّ العالمينْ.

علي : لكنْ من هو الشَخص الذي أغرقه الأمير؟

محمد: نعم ... من الذي أُعدِمَ غرقاً داخل الكيس؟

(فجأة يطلق حمار جحا نهيقاً مديداً).

جحا : أمعقولٌ يا عزيزي ... المرابي جعفر!

علي : (فَرِحاً) مات المرابي جعفر!

يوسف: أخيراً نال جزاءه العادل!

جحا : ألا تخجلون من فرحِكم بموت ذلك الإنسان؟ معروفٌ أنَّه لم يرتكبِ الذنوب (يؤكِّد على حرف لم)، لم يلعبِ القمار، لم يشربِ الخمر، لم يُقَبِّل زوجاتِ الآخرين. ولكنَّه لم يكن يُحِبُّ الناس ولم يُشفِقْ عليهم أبداً! ولَمَّا كانت حياتك يا جعفر كلُّها قائمةً على حرف «لمْ» فمصيرك العادل أن تكون طعاماً للديدان

دون أسفٍ أو همّ. (لغوجان) ما هذا النور المنبثق من الشرق يا غوجان؟

غوجان: إنها نجمةُ الصبح! فالشمس تُشرِق!

جحا : إنها تشرق لتغمرك بنورها يا حبيبتي! هلِّلوا للشمس يا أهالي بخارى! لقد فتحوا بوأّبةَ المدينة وتحركت القوافل الأولى. هل تسمعون أجراس الجمال؟ حين أسمع رنينها لا أستطيع مقاومةَ الحنين إلى التَّرحال! فالوداعُ يا أصدقائي!

غوجان: إلى أين؟ ألا تبقى عندنا؟

جحا : لا يا حبيبتي! بيتكم ضيِّق قليلاً، وأنا تعوَّدتُ العيشَ في العالم الرحيب! كما أنَّ سقفكم منخفض قليلاً وأنا تعوَّدتُ أن أستظِلَّ بالسماء اللاَّمتناهية! (يعانق غوجان). سعادةُ شخصين، سعادةٌ صغيرة جداًّ! سأذهب للبحث عن السعادة لكلِّ البشر، في كلِّ أنحاء العالم!

جحا : سأمضي أبحث عن قِدْرٍ كبيرة تكفي لأن نطبخ فيها الأَرُزَّ باللّحمِ لكلِّ البشر! وأينما كنتُ يا غوجان، في

بغدادَ أو طهرانْ، في اسطنبولَ أو عدن، في خوَى أو سمرقندْ، في دمشقَ أو القاهرة سوف أفكّرُ فيكَ أبداً! أُودِّعُكَ على أمل اللقاء. فالفراق يولِّد الشوقَ والحنين ويبعثُ الذكّرى، ولولا الفراق الحزين لما كان اللقاء السعيد.. أبداً سأسعى إليكِ يا غوجان... أبداً سأبحث عنكِ!

غوجان: أبداً سأنتظركَ يا حبيبي!

جحا (يَحلُّ وِثاق الحمار ويغنّي):

أَتَنَقَّلُ في أصقاعِ الدنيا
أُشْبهُ أجراسَ الإبلِ
أَتَنَقَّلُ عبر غبارِ السهلِ
وفي الجبلِ

لا أحتاجُ لسقفٍ يحميني
فنجومُ الليلِ ستكفيني
وسماءٌ رائعةٌ فوقي
يذرعُها البدرُ تناجيني.

سألُفُّ النجمةَ بالقمرِ
مثلَ رغيفٍ بالثَّمرِ
وسأشربُ قطراتِ الطَّلِّ
وأغنِّي، أثملُ بالفُلِّ.

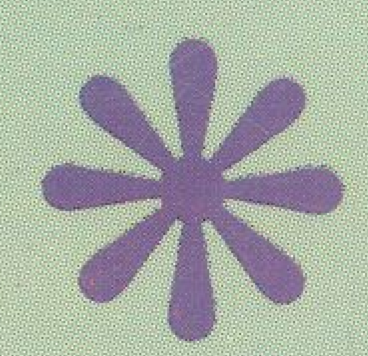
كي تُسْمَعَ في كلِّ مكانْ
وتُدَوِّي في أقصى الأركانْ
ضحكاتُ وأفراحُ الناسْ
أعراساً وصدى أجراسْ

ســـتار

فهرس
الأمير المسحور

فهرس
الآثم المرح

١٥٠٠ط١/٢/٢٠٠١



مطابع وزارة الثقافة

دمشق ٢٠٠١

في الأقطار ال

٦٠

سعر النسخة داخل القطر

٨٠ ل.س